الجـــــزء الأول

من

نزهـة النفس الادبيـــــة
في
القصص والحـكايات الغريـبة

جمـــع وتأليف

إبراهيم السليمان الطامي

الطبعة الثانية

الناس ومحبتهم والفروسية من مستلزمات العربي المؤمن ، فلم أغفلها في هذا الكتاب ، لا سيما وأنها تحكي نبوغ هذا الانسان وذكاءه ، وقد أوردت نماذج لذلك . وقد أفرد المؤلفون للفروسية الكتب والدواوين ومن فرسان المسلمين : حمزة وخالد بن الوليد والقعقاع بن عمرو ، والبراء بن مالك وطارق بن زياد وغيرهم كثير ، رضوان الله عليهم .

والزهد . . . من الصفات الجميلة التي تبرهن على ايمان الانسان وادراكه أن الدنيا ليست بدار قرار ، بل يجب أن يستعد لآخرته ويعمل لهـــا . وألا يجعل همه الدنيا فقط .

وقد أشرت الى هذه الصفة وأوردت بعض النماذج لها . ثم ختمت كتابي بما جبل عليه الانسان من حب للشعر العربي الذي تجيش به عواطفه الصادقة وتشعر به أحاسيسه   وبعد ...

فهذه لمحات خاطفة عن محتويات هذا الكتاب ، أرجو مخلصاً ، أن أكون قد وفقت في الاختيار من جهة ، ولا رضاء قارئي الكريم من جهة أخرى « وما توفيقي الا بالله عليه توكلت ، واليه أنيب » صدق الله العظيم .

مع خالص تحياتي ،،

١٤٣٠
١٤٠٢
٠٠٢٨

ابراهيم السليمان الطامي

بريده – القصيم
ربيع الاول سنة ١٤٠٢ هـ

البـــاب الاول

الفصل الاول :

بر الوالدين

بر الوالدين أمر لا يحتاج الى دليل يؤكده ، ويكفي أن قرن الله سبحانه وتعالى شكرهما مع شكره : « أن اشكر لي ولوالديك الى المصير » وقال جلت قدرته : « ولا تقل لهما أف ولا تنهرهما وقل لهما قولا كريما . واخفض لهما جناح الذل من الرحمة وقل رب ارحمهما كما ربياني صغيرا » صدق الله العظيم وأحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم في هذا المجال لا تحصى ، ومنها على سبيل المثال « بروا آبائكم تبركم أبناءكم » .

قصـــة بن بار بأبيـــه

يقال ان رجلا من عائلة كبيرة (الصالح أو القصير) بلدة الشقة من بلدان القصيم المجاورة لبريده ، سافر صغيراً مع أحد تجار المواشي لمصر والشام وفي هذه السنة بالذات التي سافر فيها بطل القصة . يسافر تجار كثيرون ولما مكن لنفسه في الشام اشتغل بالبيع والشراء .

كان هذا الرجل الشاب في العقد الثاني من عمره ، وكان طموحاً . وكان والده فلاحاً ، والفـــلاحة آنذاك بدائية متعبة ، وكان فلاحته واسعة ، وأسرته كبيرة العدد . وكانت الدخول آنذاك ضئيلة والنقد قليلا .

تعب الوالد وأثقل كاهله الدين ، وبلغ بهم الحال أي بالوالد وأسرته أن كانوا يقنعون بوجبة طعام في اليوم وما اكثر ما يذكرني هذا بقول السيدة عائشة رضي الله عنها « نرى الهلال ، ثم الهلال ثم الهلال ما يوقد في بيتنا نار . قالوا ما طعامكم يا أماه ؟ قالت : الاسودان .. التمر والماء .

صار الفلاح الى حال من الهم لاتوصف ، وشغله أهله ومواشيه . واخيرا هداه تفكيره الى ابنه ، الذي شغلته التجارة ، وانسته والديه واخوته واخواته ، وكان قد افتتح محلا تجاريا كبيرا في احدي مدن الشام ووسع الله عليه .

اختار الأب اعرابياً من الصلبة خبيراً بمسالك الطرق وايسرها ليذهب الى ابنه لقاء اجر معلوم ، يحمل خطاباً اليه ويعود بالرد وتقلد الأعرابي الاتفاق وحل ضيفاً على الابن في الشام .

قرأ الابن خطاب ابيه يصف فيه حالته فتأثر كثيراً ، وصمم من فوره على ارسال مبلغ ذهباً وقال للاعرابي : ان ابي يطلب مساعدة نقدا ، والنقد لا نملكه . عندنا خبز وقير وما اشبهه مما يسد الحاجة .

فقال الاعرابي : وارجوك رد الخطاب حتي اخذ اجري الذي وعدني به ابوك ، فقال الابن ابشر .

خبز الابن خبزة كبيرة حشاها بمائتي جنيه ذهباً . . عثمانياً وهو مبلغ يعادل مئات الالاف في وقتنا الحاضر . . واعطاها للرسول واعطاه دريهمات مكافاة له .

وصل البدوي الى الضالع وكان ذلك بعـــد المغرب وقت اجتماع أهل القرية واقترب من الوالد قائلا : وجدت لك في الشام خيبة لا ابناً . . ! قال : وما اعطاك ؟ قال : خبزة كبيرة قال : هاتها ، ولما امسك بها قال ان بها ذهباً ، وكسرها فانهالت منهـــا الجنيهات الذهبية ، مما ذهب بصواب الاعرابي الذي قال بلا خجل : لو علمت ما بداخلها ما وصلت اليك وزاد الاتصال بين الابن وابيه ، والابن يواصل البر به ، وهكذا كما تدين تدان .

لقد كان الوالد باراً بوالدية فجاء ابنه ليرد الجميل . يقول جبارة من قصيدة طويلة :

لا هم الا هم حود وناصر
الا ولاد للقلب الشقي اثمـــار
هم الخير والشر والفقر والغني
وربح ومنهم من يكون خسار

★ ★ ★

ابن كامل الـــبر بأبيـــه

قصة مصداق الحديث الشريف « بروا آباءكم تبركم ابناءكم هنا رجل بر بأبيه كامل البر ، فرزقه الله ابنا عامله نفس المعاملة ، بل زاد عليه كما يتبين من سياق القصة التالية :

شيخ يعيش كهولته ، تجاوزها ، الى الشيخوخة ، ذكي ، يحس في معاملة ابنه له ، نفس المعاملة التي كان هو يعاملها لأبيه .

وبينا الشيخ في يوم صائف بريق الماء ، فكادت انثياه تصلان الرمضاء الحامية ، اذ بالابن بكل لباقة يدخل يده ، فيحول دون ذلك .

لاحظ الشيخ ذلك فشكر ابنه ودعا له ثم بكي وقال يا بني ، جميع اعمالك معي ، عملتها انا مع ابي ، وزدت انت بالذي عملت الان اصلحك الله واصلح حالك ، وحال عيالك اليس حقا كما تدين تدان ؟

★ ★ ★

من سدد ديون أبيه

حمود النجدي توفي قبل عامين حاصلا على رضا الله . عاش غنياً عزيزاً تغرب مبكراً كما كانت حال اهل نجد منذ زمن ، في مصر والشام وغياصة البحر (وكلها) اعمال شاقة ومتعبة مع ضآلة دخلها ، فلا تخفى الحال قبل قرن .

المهم : لقد تغرب العم حمود وحصل من التجارة على مبلغ لا بأس به يزوجه ويبنى بيتاً ، وعاد بعد عامين يحدوه الامل في شريكة حياته يسعدان معاً .

لكنه فوجيء بأبيه يشق عليه خروجه للسوق ، فسأل والدته عن سر اكتئاب ابيه ، فقالت له : انه الدين قد اثقل كاهله . قام الولد في السوق واعلن ان من له ديناً في ذمة والده ، فليحضر دفتره .

وسدد الابن كل ديون ابيه ، وعاد للغربة من جديد . وكان الله في عون هذا الابن البار فعوض خيراً ، ويسر امره وجمع مالاً كثيراً خيراً من عند الله رزقه به جزاء وفاقاً لبره بوالديه . .

الفصل الثاني :

قصـــة ابن صــــالح

قصة كلها بر وصلاح وتوفيق . . . يحكى أن شابا توفي والده وهو في العقد الثـــاني من عمره وكانت والدته في ريعان الشباب لكنها صبرت محافظة على تربية ابنها وعاقت كل من تقدم لهـــا للزواج خوف أن يهينوا ابنها .

وحدث أن تزوج الابن مبكرا ببنت جميلة وتحابا حبا شديدا . وبت الغيرة في نفس الأم التي لا تزال محط أنظار الرجال ، ثم كان شجار وكان صدام بين الام وزوج الابن مما جعل الابن يفكر جديا في حل المشاكل في أدب وبر .

وبينما هو عند أحد الباعة ، اذ برجل صالح متدين ، يعرفه توفت زوجته قبل أشهر ، ويحلم بالزواج الا أن حالته لا تساعده على ذلك في حين أن دريهمات معدودة كانت تكفي لاختيار زوجة ومن أسرة كريمة .

كانت الزوجات في تلك الآونة يعتن بمساعدة الازواج في أعمالهن فلاحة كانت أو صناعة .

والان يرى العكس تماما . غلاء مهور ، ولا مساعدة ولاطاعة سلم الابن على هذا الرجل الذي كان على أبواب الكهولة ثم قال له : ما رأيك في ابن لك لم تلده ؟ قال الرجل : أين ؟ فقال الابن لقاؤنا بعد الظهر وأكد عليه الوفاء بالميعاد .

تم اللقاء بعد الظهر واذا بالاقارب ومن يعقد القران يجلسون . وبدر الولد الرجل قائلا : اني أريد ان انكحك والدتي الصالحة التقية ، فلم يصدق الرجل حتى عاد الابن فأكد ذلك ، وعقد القران ، وسعد الرجل بزوجه .

اكبرت الام ابنها ، وحسنت سياستها مع زوجه التي كانت تعد من

حريتها حتي كانت تمنعها من التزين لزوجها وعاش الجميع اسرة واحدة ترفرف عليها السعادة والاستقرار .

= = =

وهـــذه قصـــة بر ابن بأمـــه

ابن صالح كل الصلاح ، احس من والدته الرغبة في الزواج بعد طلاقها من ابيه الذي تزوج غيرها . فجعل يبحث لها عن زوج حتي وفق في ذلك وضمها في بيته وجعل يقدم لها كامل الخدمات ولقد دفعه الى ذلك ماشاهده من سياسة امه مع زوجاته فقد كانت تأمرهن بعدم التزين ، ومن خالفتها ناصبتها العداء وكان الابن يأمر زوجاته باطاعة اوامر امه حتي تكون راضية تمام الرضا ، فكان دليلا واضحاً يفسر سؤال المصطفى صلى الله عليه وسلم من رجل يقول : يا رسول الله من احق بحسن صحابتي ؟ قال امك قال ثم من ؟ قال امك قال ثم من قال امك قال ثم من قال ابوك . . . ثم الم يقل صلوات الله وسلامه عليه : « الجنة تحت اقدام الامهات » ؟

= = =

الفـــلاح وابنـــه

هذه قصة فلاح ، ابنه مراهق طائش . كان الأب يريد من ابنه ان يساعده ويكدح معه في الفلاحة التي كانت شاقة بالقياس اليها في هذه الايام ، ايام المعدات الجبارة في حين كان في الماضي كل شيء يعتمد على اليد الضعيفة من حفر وحرث .

تعب الفلاح مع ابنه الذي كان يريده مستقيما ، يؤدي فروض الله عليه ويساعده على عائلة كبيرة ، وزراعة واسعة ، يوم كان الجميع يشكون من الحال ، فلاحون وغير فلاحين .

وكثيراً ما كان يقوم عراك بين الأب وابنه ، وذات مرة ضرب الأب ابنه ضرباً مبرحاً ، وطرده .

سافر الابن للمنطقة الشرقية ، وكانت في بادىء نهضتها ، واستطاع ان يعمل بشركة ارامكو ، وكان قد عركته الحياة ، فأخذ يعمل بجد واخلاص حاز معهما محبة رؤسائه الذين صاروا يبرونه ، ويمكنونه من ان يعمل ليلا ونهاراً .

اما الاب فقد مر بعدده من السنين العجاف ، وغرق في الديون حتي زج به في السجن ، وكان عليه ان يبيع - وفاء للدائنين - الفلاحة التي يراها مصدر رزقه هو واطفاله .

احتار الأب ماذا يعمل ، وطلب خروجه من السجن لينفذ البيع ، وبيعت ببيع خيار لمدة ٦ شهور ، عزم في اثنائها على السفر للرياض لعله يحصل على مساعدة من اي جهة فلم يوفق في ذلك رغم انه ارتاد حتي المساجد يطلب فيها العون وصمم على العود قائلا : لاهو مالي بعد حالي .

لكن الموقف اصعب من عودته ففكر في زيارة ابنه ، وسافر اليه . . وصل الرجل الى ابنه ، فرحب به الابن ، وبكيا من اللقاء بعد طول الافتراق واكرم الولد وفادة ابيه .

لاحظ الولد على ابيه آثار الكآبة والغم ، فظن حادثا جرى لوالدته او احد اخوته ، وألح على ابيه ان يخبره الخبر .

كان الابن ينصت لحديث ابيه ، وعيناه تدمعان ، ولم يترك والده يكمل القصة حتي قام من فوره واحضر صرة فيها سبعة آلاف من الريالات الفضية والقى بها بين يدى ابيه .

اجهش الأب بالبكاء ولم يدر أفي حلم هو ام في يقظة ، وطلب من الابن ان ينسى اساءته اليه ثم فتح الصرة واخذ منها الفي ريال قيمة الدين واراد ان يترك الباقي للابن الذي رفض ذلك قائلا لوالده : ابقها عندك ، وانفق منها حيث شئت ، ولا تخش من ذي العرش إقلالا ، وسوف أحضر بعد مدة ان شاء الله لأجدك والوالدة وقد اخترت مالي شريكة حياتي لنتولى معا خدمتكما

سافر يا ابني قبل حلول الخيار ، وعاد الأب مسروراً اذ سدد دينه وعمر بالحوطة . وفي هذا عبرة لكل بار انه سيجد من يبره ، « قل كل يعمل على شاكلته فربكم اعلم بمن هو اهدى سبيلا » صدق الله العظيم .

= = =

قصـــة فيهـا الـبر والطرافـــة

وهذه قصة اخرها اعجب من اولها . . . دخلت والدة على اولادها الذكور غاضبة وهى تقول : ليتكم كنتم بنـــات ! ! قالوا : هداك الله ، ماحاجتك ؟ قالت فلانة عندها دين ثلاثة ريالات ، هل نتركها تأكلها ؟ ليذهب احدكم اليها فيأتي بهن . قالوا : ان بلدتها تبعد عنا مرحلتين ، وبها الكثير من المستنقعات . قالت الأم : ولو ...

قال اكبر الاولاد : الشكوى لله ، واستأجر حاراً وذهب الى المدينة بالثلاثة ريالات ، واتعبه الطريق حتي وصل البلدة في غاية الاعياء والجوع .

سأل الابن عن بيت المراة هذه ، ولما عرفه وقف يطرق الباب ، فعاب عليه ذلك بعض المارة وقال احدهم : امراة متحجبة توفي عنها زوجها قبل ايام ، اما تستحي ؟ فقلت مالي الى ذلك من علم ، لكن هل هناك من يضيفني واستضافني احد اهل تلك البلدة واكرمني اكرمه الله .

وبعد ان صليت الفجر ، بدات عودتي ، حاملا خفي حنين واصبت بالحمى لبضعة اشهر من اجل ثلاثة ريالات لم احصل عليهم . .

كم يركب الانسان راسه ويتصدي لمزية يعرف انها به نازلة .

= = =

قصـــة الغيث المشهورة

قصة أخوين شقيقين يكدحان في فلاحة لهما ، في ضواحي بريدة في وقت . كانت الزراعة شاقة لانعدام الالات الحديثة ، ولأن الفقر كان يدخل معظم البيوت ، والتاريخ شاهد لا يخفى ، ولا يرحم .

كانت حال نجد لاتوصف ، فقر وجهل ، وقوي يأكل ضعيفا ، وفوضى وعدم أمن ، وكل يغير ، وينهب ما يحصل اللهم رب جبريل وميكائيل ، فاطر السموات والارض ، أدم علينا مانحن فيه الان من أمن ورخاء ، وغني واستقرار ، وقيادة رشيدة ، وزدنا تمسكا بنعمة الاسلام ، وانزل علينا الغيث دائماً ، الغيث .

نعود للاخوين ... قال الصغير للكبير : اسمح لي أن أسافر وأترزق الله ، حين ضاق عيشهما ، وبلغ السيل الزبي ، فاضطر الكبير للموافقة ، وسافر مع التجار الذين ما كانت لهم سلعة تجارة آنذاك الابل والمواشي .

كان الصغير طموحاً وقد تعلم من الكبار وصار تاجراً مثلهم ، لكنه وسط هذه المشاغل ، مشاغل التجارة ، ما نسي أخاه ، بل كان يرسل اليه بكل ما يقدر عليه ، فانتعش حال أخيه وراجت فلاحته .

كان الصغير يسكن بغداد ، وفتح هناك متجراً صار كعبة القصاد واستمر في وصله لاخيه ، لكن الدنيا لا تدوم علي حال ، تسرب الى جسمه المرض المزمن وبلغ الخبر أخاه ، فاستاجر بدوياً يدله على الطريق حتى يزور أخاه ويقف على احواله .

وكان شرط البدوي ان يشتري ناقتين ، يختارهما هو لهذه الرحلة وتم ذلك وسافر الاثنان حتى وصلا بغداد بعد ثمانية ايام .

وكانت المفاجأة القاتلة ، علم الاخ الاكبر قبل ان يصل ديوان اخيه ، ان اخاه توفي منذ البارحة ، فسقط من فوق راحلته وحمل الى المستشفي

وبقى بها عدة ايام ، ويقال انه ما سلاه حتى توفاه الله . وقد ندبه بمرتبة أذكر منها :

• يقول ابن غيث حاربت عينه النوم
عبد الله الصابر على حكم والي
ديني ما يطوى الليا في من الكدم
لنتين ما تركن السطر والجفالي
طبيت بغداد المسمى تحت روم
والالي من النشاما حيد الرجال
سألتهم عن ناصر قيل مرحوم
تفطلست صـــــار الجنوب الشمالي
كيف ادخل البيت وساكنه مكصوم
عضيدى اللي بالمودة صفـــــالي
لاقط خبت خاطري دايم النوم
ولا يوم قال ذا لك وذا لي

ولقد صدق من قال : وتقدرون فتضحك الاقدار .

= = =

قصـــة حلوة لبركات الشريف وبره بأبيـــه

بركات علم من الاعلام في ميادين الرجولة والشجاعة والبر والادب . كان ابوه اميرا لمكة المكرمة اذ كان الامراء الاوائل اشرافاً وكانو هواة قنص ومن ابو بركات .

كان بركات في العقد الثاني من عمره ، لكنه رزق عقلا موهوباً ، وحسن ادارة ، وحكة تصرف حتي صار يعتمد عليه ابوه في ادارة دفة الامارة .

أحبته إحدى جواري أبيـــه ، محبة أفقدتها صوابهـــا ، وفتنت به وهو لا علم له بذلك ، وذات يوم قابلته على سلالم القصر فأباحت له بما تكنه له من مودة فنهرها ، فحاولت منه فدفعها وتركها ، فخافت أن يشكوها على أبيه ، فعزمت على أن تكيد له ، وكيدهن عظيم .

كلفت أحد خدمها أن يأتيها بجربوع (حيوان بري يشبه الفأر) وعند مقدم أبيه سلخته ، ورمت رأسه ورجليه ، وعند سلامها على أبيه أعطته اللحمة الحمراء فقال : ما هذا ؟ قالت : جنينك

قابلها بركات على الدرج وحاول منها فرفضت ، ولما حاولت الصراخ دفعها من أعلى الدرج وسقط جنينها شيئاً يشبه الحقيقة كبر الأمر على أبيه وبدا له كالحقيقة خيانة محارمه ، وويل للرجال من مثل هذه الجارية

غضب مالك على ابنه بركات لما ذكرته تلك الجـــارية ، وكان لبركات مجلس خاص محدد الزمان والمكان ، وقد أجلس فيه يوماً أحد خدمه ، فلما دخل بركات لاحظ أن أحداً لم يقم من المجلس للقائه ، فجلس وكظم غيظه وعرف أن ذلك انما السبب ما افتعلته الجارية الكذابة اللعوب . لكذبه

صمم على أن يرحـــل ويضرب بالبخته وكان له عبد يحبـــه ويخلص له فأسر اليه بما عزم عليه ويرغب اليه في أن يكون رفيقه في السفر فرحب العبد على الفور وقال له : ثق بأنني يمينك وساعدك القوي .

اتفقنا على أن يكون بده السفر في آخر الليـــل ، ومن ذكائه رمى بصرة نقود في الطريق وعمل أن أ يحانيا الصرة فقـــال للعبد مسعود هذه صرة لعلها نقود ، فقال بركات حاول أن تعرف ما بها فلعل نقد يساعدنا فقال مسعود : هيا بنا سيدي ، ما عاشت باليقظ شكره ، فقال إنه هو الذي وضعها وإنما أريد امتحانك حتى أعرف مدى الطمع فيك لأن الطمع مقيت ولو كنت لمست فيك الطمع لأرجعتك من أول الطريق .

كانا يقصدان العراق وبالأخص الحويزة عاصمة إقليم عربستـــان . وأخذا يدوران حتى تعبا وانتهيا إلى مجلس أمير الاقاليم ، فلاحظتهما إبنة ذلك الامير وشكّت في وضعهما فكتبت لهما ممتحنة ، مختبرة كلمات سجع :

إذا جيت ديرة قوم وأنت غريب ، اجلس مجلس الرجل الاذلي

إن أكرموك حق عليهم ، والا ثم وخلى ... فأجابها بركات :

إذا جيت ديرة قوم وأنت غريب / أجلس المجلس الأجلى ، إن

حشموك حـــق عليهم ، والا قل هذا علي ، أنا طير العلا

ما يطا بالوطا بعد التعـــلي ، فعشقته وقد قيل أن الاذن تعشق قبل العين أحيانا .

وعبرت بينهما المكاتبات حتى مهدت له الطريق للوصول الى كرسي أبيها قالت له : ان مدينتنا موفور بها كل النعم ، ولكنها تفتقر الى شيء هام جداً هو الامان وعرضت عليه أن يتولى حراسة السوق لتصل من وراء ذلك الى ما تصبو اليه .

ونفذ بركات رغبتها هو وعبده بعد موافقة الامير ، وطلب صلاحيات وافق عليها الامير ووقفت حوادث سلب المتاجر وصار التجار يشكرونها ويصلونها بمكافآتهم .

وذات ليلة زاره الامير بموكبه ، وكان ذلك عهداً قطعه على نفسه ، فلما سمع دبكة الموكب ظن القادمين عصابة لصوص ، فأطلق طلقة أصابت الامير وفر الباقون معه ثم ذهب هو وعبده للقصر وأمير المدينة مجندل بالسوق .

وفي الصباح نما الخبر واعلن بركات نفسه اميراً للمدينة بدلا من الامير المقتـول ، واعلن انه سوف يخدمهم ، وفعلاً تفانى في خدمتهم ، واحسن سيرته فيهم ، وانقادت له الرعية افضل انقيـــاد ، وانتظمت المقاطعات القريبة في حدود حكمه وتزوج بابنة الامير التي مهدت له سبيل ذلك الوصول والتي لم تظن انه هو سبب موت ابيها .

وبعد مدة وافاه خبر ان اباه مضيق عليه من قبل خصوم له من ابناء اخيه فما وسعه ترك أبيه في المعركة وحده ، فأعلن انه يريد القنص ، واختار من صحبه عدداً ، ووكل الامارة الى من يعتمد عليه بعد الله .

سافر معه عدد من الفرسان ، وعندما قربوا من مكة ، اخـــبرهم انه انما يريد فك الخناق عن ابيه ، فقالوا نحن خدامك ، فأمرهم بالبقـــاء في اماكنهم وامهلهم اربعة ايام ان لم يحضر اليهم بعدها فقد قتل وعليهم ان يعودوا لبلدهم ، وان حضر فهذا ما يرجوه من الله سبحانه وتعالى .

واختار ثلاثاً من الخيول ذات الوان مختلفة وعلى كل فرس بدلة من نفس لونها وسار حتى وصل بيتـــــه ، فطرقه ، ففتحت له زوجته ، وادخل الخيل وفي الصباح كر على الفرس الاصفر وتفرق القوم ، واخبر جند ابيه ان الله نصرهم على يد فارس فرسه اصفر فقال لهم حاولوا معرفته ، وفي اليوم الثاني خرج على الفرس الاحمر حتى قال انصار ابيه ان فارس اليوم ذا الفرس الاحمر ، خير من فارس الامس ، وقالوا انه فارس ملثم .

وفي اليوم الثالث خرج على الفرس الدهماء ومزق القوم شر تمزيق ثم ودع زوجته واعطاها خطاباً بناء على طلبها .

في تلك الاثناء اسرع واشٍ الى بيت ابيه يقول له : ان زوجة بركات في بيتها حركة ، وانوار غير عادية ، فسألها ابوه : سمعت ان في بيتك امرا غير عادي في الامر ؟ قالت : انما هو فارسكم الذي نصركم الله على يده ، صاحب الخيل الثلاث . قال : من هو ؟ قالت : ابنك بركات وهذا خطابه انه حاكم في العراق ، يحكم أقاليم واسعة هناك .

عمرت بعد ذلك المكاتبة والزيارة بين الابن وابيه ، وطرد ابوه الجارية التي تسببت في تركه الديار ، وكم من حوادث وراءها ابطال مجهولون ، ورب ضارة نافعة كما يقولون .

الباب الثاني

« العقوق وفيه فصلان »

★ ★ ★

(قصة نذل أراد قتل والدته)

العقوق والبر نقيضان من ملامح الحياة الدنيا ، والبر ممدوح محبوب اما العقوق فهو مذموم مدحور . والبار يكافأ على بره من الله والناس وكذلك العاق فعقابه مضمون ، وهو بطبعه هذا مخذول مرذول .

وبطل القصة خسيس يقال انه متزوج من خارج المملكة . وكانت له أم صالحة ، ويكفي الأم ايها الابن ان تبرها ، حملها إياك في بطنها تسعة اشهر بين التمرد والضجر ، ولو حملت انت كيلوين بين يديك لمالك الضيق ، وان رضا الله في رضا الوالدين . يقول رب العالمين سبحانه « واخفض لهما جناح الذل من الرحمة وقل رب ارحمهما كما ربياني صغيراً » ويقول جل شأنه : « ولا تقل لهما أف ولا تنهرهما وقل لهما قولاً كريماً » .

واعود لقصة هذا النذل الذي اراد قتل امه . كانت الام صالحة وتريد زوج ابنها كذلك ، لكنها كانت تستهين بذلك ولا تنصاع لنصائح ام زوجها .

علمت الأم عن هذه الزوجة بما يخل شرفها فأخبرت ابنها الذي لم يعتقد ذلك في زوجته وظن ذلك افتراء من امه . واعلنت الزوجة الحرب على الام فطلبت من ابنها التخلص من امه ليسعدا معاً دون منافس لهما ، فأشارت في البدء ان يسكن امه في بيت وحدها فقال : يعيب الناس على ذلك . فأصرت الا تجتمع معها في سكن ابداً . كان الزوج شديد الحب لزوجته ، ولا يريد ان يعصي لها امراً ، فما ذا رأت ؟ رأت لا شيء إلا خلاصه من امه

بقتلها ، ورسمت له الخطة : ان يستصحبها الى البر وهناك يتخلص منها فادعى انه مدعو هو وامه في البر وخرج بها في سيارته ، وانحرف بها عن الطريق العام ، وانزلها في مكان حيث يريد ان ينفذ جريمته .

عرضت عليه الام ان يسكنها وحدها فرفض خوف كلام الناس ، فقالت هل انت عازم على قتلي ؟ قال نعم . قالت : امهلني حتى اصلي ركعتين وبعد التشهد نفذ رغبتك .

وبينما هي تنتهي من الصلاة إذ به يزعق زعقة مفزعة عندما رفع يده وبقيت في الهواء لا تنزل واصيب بشلل فصار عبرة وعظة لكل من رآه ، ومات بعد ايام ويده في وضعها الذي صارت اليه .

هذه ايها القارىء قصة ليست من الخيال ، ولكنها من الواقع ، اعرف ابطالها والبلد التي كانت مسرحاً لها ، فانظر الى اي مدى يكون جنون العقوق وفي حق من ؟ في حق الام ؟ وبأي صورة ؟ القتل الذي حرمه الله ؟

لعل أولئك الذين يفضلون الزواج بغير الوطنيات يكون لهم في مثل هذه القصة ، ما يرجع بهم عن رأيهم « إن في ذلك لعبرة لمن كان له قلب او القى السمع وهو شهيد » .

(صدق الله العظيم)

★ ★ ★

« من قتل أمــه فقتل »

ارملة توفي زوجها مخلفاً ابناً ، كانت في عز شبابها ، ولحبها لابنها ووفائها لزوجها تصبرت . ومرت الايام وهي تزداد جمالاً ، وتنضح شباباً سيما وانها كانت في اول العقد الثالث من عمرها كانت تسكن البادية في بيوت من الشعر ، وحدث ان فتن بها جارها ، وكانت ترفض الخطاب بعد زوجها وهكذا حال المطلق .

كان هذا الجار جار سوء جاهل ، لا يحترم حق الجوار . وفي ذات يوم وهي وحدها في بيتها هجم عليها وراودها عن نفسها ، فأبت ، وحاولت الصياح وافتزاع الحي .

وكان يرأس الحي رجل قوي ذو بطش وقوة ، فخاف الجار وهرب لكنه اضمر الانتقام منها لئلا تخزيه وتفضح امره . ولما بلغ يأسه منها من زواج او غيره دبر مكيدته .

ابنها شاب مراهق وجاهل ، احب ابنة جاره ، وفتن بها ، وكان الاب وهو ذلك الجار يحرضها على ان تتزين للشاب وتعترض طريقه ، فخطبها الابن دون علم والدته ثم امر ابنتــه بالبعد عنه ، ومحاولة الا يراها فصار الابن في قلق لا يهدأ له بال ولا يقر له قرار .

عرض الابن الامر على والدته واباح لها بحبه لابنة جارهم ، وانه لا مفر منها ، لكن والد البنت رافض تزويجه اياها بسبب امه .

وجد الابن رفض الام ضربة قاضية عليه فماذا امامه اذن ؟ لا بد من ان يزيح امه من الطريق ، هذه الام التي وعد ابو البنت بزواجها من الولد بعد تخلصه من امه ، ومما زاد الولد اغراء قول الاب له انه سيصير عزيزاً عليه وان ابنته التي لا نظير لها في الحي ، ستكون من نصيبه لأنها تحبه حباً شديداً .

ثم اردف قائلا لكن اخشى ان تنغص امك عيشتكما ، فسأل الولد وما الحل ؟ قال الجار : اقتل امك . قال وكيف الطريق الى ذلك ؟ قالها وهو مدهوش مرتاع وهو ذلك الجاهل الطائش الخالي من الايمان ، ولقد اعماه الحب وغرر به الجار الذي يريد ان يتخلله غلبا وهو لم يدر .

وافق الولد على الفكرة ما دام ذلك سيوصله للبنت التي يحب ، وجهز خنجرا مسموما بمساعدة هذا اللئيم وفي منتصف الليل غرس الولد الخنجر في صدر امه ، فلما رأى الدم كالنافورة ينبثق من صدر امه اراد ان يطامن نفسه ، فمنعته ، ثم حذرته قبل ان تسلم النفس الاخير .

شاع الخبر ، وعرفت الحقيقة ، ونفذ الشرع حكمه في الابن وفي الجار الذي حرضه ، وقد خلد احدهم تلك القصة الحزينة بهذه الابيات :

اغرى امرئ يوما غلام جاهل
بنقوده وبنية كيانيال به الغرر
قال ائتني بفؤاد امك يا فتى
ولك الدراهم والبنية والدرر
فمضى واغرز خنجرا في صدرها
والقلب اخرجه وعاد على الاثر
لكنه من فرط سرعته هوى
فتدحرج ودم القلب المنفر اذا عثر
نادته الام وهي معفرة
ولدي حبيبي هل اصابك من ضرر ؟
فكان هذا الصوت رغم حنوه
غضب السماء به على الولد انهمر

وصدى فظيع خيانة لم يأتها

ولد سواه منذ تاريخ البشر

وقال يا الله انتقم مني ولا

تغفر فإن جريمتي لا تغتفر

واستل خنجره ليطعن قلبه

طعناً ليبقى عبرة لمن اعتبر

ناداه صوت الأم أن اكفف يدا

ولا تطعن فؤادي مرتين على الأثر

وصدق الله العظيم اذ يقول : « يا أيها الذين أمنوا إن من ازواجكم واولادكم عدواً لكم فاحذروهم وإن تعفوا وتصفحوا وتغفروا فان الله غفور رحيم » صدق الله العظيم .

= = =

« من أراد قتل أمه فعوقب بالجنون »

كان مستقيماً ، حسن الخلق ، فخالطه قرناء السوء الذين يفسدون في الارض بغير الحق ولا يصلحون ، كم افسدوا ، وكم فرقوا بين آباء وابناء واوردوا الابناء موارد الهلكة ، واودعوهم غياهب السجون بعد ان زينوا لهم القبيح ، وحسنوا لهم كل منكر يقول الشاعر :

واختر قرينك واصطفيه تفاخرا

ان القرين الى المقارن ينسب

تسممت افكار هذا الشاب من جلسائه الفاسقين ، وانقلب رأساً على عقب ، انقلب الى شرير آثم .

كانت والدته تحذره من عشرة هؤلاء ، وتنفره منهم . فشكى ذلك اليهم فأشاروا عليه بازاحتها من طريقه وقتلها ، وحسنوا له ذلك ومهدوا له خطة الجريمة النكراء وكان عقاب الله أسبق ، لقد مسه الجنون وسار يهيم في الشوارع والطرقات في حال لو مات معها لكان يستريح ويريح ، ولكن الله سبحانه الذي لا يرضى العقوق ، ضرب به المثل ليكون عبرة وعظـــــة .

يقول رسول الله ﷺ : مثل الجليس الصالح والجليس السوء كمثل صاحب المسك وكير الحداد ، لا يعدمك من صاحب المسك اما ان تشتري منه او تشم رائحته ، وكير الحداد يحرق بدنك وثوبك وتشم منه رائحة خبيثة .

= =

« العقـــاب العـــاجل »

شاب غلب عليه الطيش ، نسي ان الله دائمـا بالمرصاد ، ثقلت عليـه نصائح والده الذي كان يريد له الاصلاح ما استطاع ، خوفاً عليه من الوقوع في الشرور والآثام .

ان كل أب راع ، وكل راع مسئول عن رعيته ، فلم لا يكون لسلوك ابنه متابعاً ، وله ناصحاً .

في ذات يوم خرج الأب للصلاة كعادته ، وحاول ان يرافقـه ابنـه الى المسجد ، والح الاب في الطلب لدرجة اساءت الى الابن فسب اباه ، رافضاً امره ، مخالفاً طاعته .

ذهب الاب لصلاة العصر ، وبعد ان انتهى من الصلاة وهو خارج من المسجد اذ هنــــاك جمهرة من الناس حول بئر مهجور خاليـــة وتبين له الامر . .

كان الولد يلعب بكرته ، فتدحرجت الى البئر ، فأسرع خلفها ليدركها ؛ لـكنها سقطت في البئر . حاول الولد أن يمنعها ، وفي تلك اللحظة اختـل توازنه وسقط خلفها في البئر ، هنا أدرك الاب ان هـــذا جزاء العقوق . وكانت الدموع تنهمر من عينيه وجعل يندب حظـه وينحي بالائمـة على اخوان السوء ويقول : كان ابني مطيعا أميناً على نصائحي ، حسن السيرة فخالط الاشرار . . . إن خلائق الاشرار تعدي .

ومما يؤسف له أن هناك شباباً يتهمون آباءهم بالتخلف عن ركب الحضارة ، يتهمونهم بالرجعية ، ومثـــل هؤلاء إلا كما يقول الله تعالى « الذين يلمزون المطوعين من المؤمنين في الصدقات . . . »

= = =

« ولـــد يضرب أبـــاه »

أرأيت الى ابن يمد يده على والده ليضربه ؟ والقصة أن شيخاً طاعناً في السن ، نحيفاً من هزال الايام لأنه اختلف مع ابنه حول قضية رأى الوالد فيها نصيحته بما لا يرضي . أمسك الولد بعصاه وانهال على أبيه الشيخ ، والرجل لا يشتـكي ، ولا يتضجر ، ولا يطلب نجدة .

حاول الحضور تخليص الأب من هذا الابن العـــاق الجائر ، الحضور الذين استهجنوا هذا العمل القائم وكان يقول لهم : اتركوه انه القصاص ، لقد حدث أن ضربت أبي وهذا ابني الآن يقتص مني ، فياليته يزيد لعل الله يكفر عني ما سلف مني .

تفرق الناس ، وهم يسألون الله له السلامة . . . « فمن يعمل مثقـال ذرة خيراً يره ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره » صدق الله العظيم .

الفصل الثـاني :

« من كذب على أبيـه وماطله فعوقب في الحال »

(بثلاث عقـــوبات)

قصة لفلاح ذو فلاحة واسعة وأسرة كبيرة . برز من هذه الاسرة أحد الابناء وصار يعمل بالجمالة التي كانت وسيلة النقل الوحيدة بالجزيرة آنذاك لنقل البضائع والمؤن والمسافرين .

زاد الابن غنى بقدر ما كان يعاني أبوه من سوء الحال . وفي حملة تزيد على الستين إبلاً قدم الولد الى بلده ، وطلب اليه والده ان يساعده سيا وأنه ينفق على اخوته وامه فاعتذر الابن ، ولما لح عليه ابوه قال : ستجد غداً بالحوش ثلاث بكرات وهو يعلم انه يكذب على ابيـــــه لأنه سيسافر في منتصف الليـل .

فلما أصبح وجد ثلاثة ارسان بدون نياق فدعا عليه الاب ان يصيبه الله في ثلاث : ماله ، وعقله ، وبصره لانه أناني محب لنفسه .

فلما توسط النحتا برمالها المعروفة هبت عاصفة شديدة مزقت الابل شر ممزق حتى ذهبت شذر مذر ، وعمى بصره ، وذهب لكل ما أصابه عقله وعاش بعد السبعين ليكون عبرة الايام . . يقول رب العالمين : « ووصينا الانسان بوالديه احساناً » وقد خالف هذا وصيـة ربه فضيعه خبثـه ، ان الانسان لربه لكنود .

= = =

« قصة شهدها المصطفى ﷺ »

يقال ان أحد الابناء شكا أباه على الرسول ﷺ قائلاً : يارسول الله : ان أبي يجتاح مالي ، فاستدعى الرسول صلوات الله وسلامه عليه ، الاب الذي لما علم بشكوى ابنه لدى رسول الله ﷺ أسف وقال في نفسه ابياتاً :

نزل جبريل عليه السلام وأخبر الرسول ﷺ بما قاله الشيخ في نفسه ، قال قولاً لم يتجاوز قلبه ، ولم يصل الى لسانه .

ولما حضر الشيخ قال له رسول الله : أتريد أن تجتاح مال ابنك ؟ قال : نعم . . قال اخبرني بما قلت في ضميرك ولم يتجاوز لسانك ، فعلم الشيخ ان الله اخبر محمداً ﷺ اذ لم ينطق به لاحد . قال : ان الله اخبرك بهذا . قال : نعم . . . انني شرهت على ابني كيف يشكوني وقد غذيت واحسنت وربيت ، فقلت في ذلك ما يلي :

غذيتك مولوداً وعلتك يافعاً
تعل بما اسدي اليك وتنهل
اذا ليلة ضاقت بك السقم لم ابت
لسقمك الا ساهراً أتململ
كأني انا المطروق دونك بالذي
طرقت به وعيني تهمل
تخاف الردى نفسي عليك وانها
لتعلم ان الموت حتم مؤجل
فلما بلغت السن والغاية التي
اليها مدى ما كنت فيه اؤمل

جعلت جزائي غلظة وفظاظة
كأنك انت المنعم المتفضـــل

فليتك ان لم ترع حق ابوتي
فعلت كما الجار المجاور يفعل

فأوليتني حق الجوار ولم تكن
بمالي دون مالك تبخـــل

سمع الرسول الكريم هذه الابيات وبعدها قال للشاب : قـــم انت ومالك لابيك . . . حكم صادر ممن لا ينطق عن الهوى .

الباب الثالث

(فيه فصلان)

الكرم والاكرام وما أعد الله لهم من كرم وكرامات

الكرم خصلة يحبها الله سبحانه فهو سيد الكرماء ، والرسول الكريم ينادي بالكرم لما له من وقع طيب في النفوس .

ويقال ان الله سبحانه خلق جنة عدن بيده وجعل فيها نصيبا لأهل الكرم ، وكما صح انه لما خلقها سبحانه قال لها تكلمي . . قالت طوبى لمن رضيت عليه . قال لها تكلمي . . قالت : قد افلح المؤمنون . قال : وعزتي وجلالي ما يجاورني فيك بخيل ، وكفى بالكرم فخرا وشرفا .

وقد صح عن المصطفى ﷺ انه كان يعطي عطاء من لا يخشى الفقر ، وقد اعطى غنما بين واديين وقال : انفق يا بلال ولا تخشى من ذي العرش اقلالاً . وقيل انه مع مطلع الشمس في كل يوم هناك ملكان ، يقول الاول اللهم اعط ممسكا تلفاً ، ويقول الثاني عند الغروب اللهم اعط منفقاً خلفاً .

ويقال ان ابنة حاتم الطائي ، لما اسرت بجيش علي بن ابي طالب امر النبي الكريم بحسن معاملتها وكان يقول ان اباها كان يحب مكارم الاخلاق والله لو كان مسلماً لترحمنا عليه ، وحدث ان امرؤ القيس وهو في طريقه الى ملك الروم يستنجد ضد خصومه ، مر بحاتم فأكرمه فمدحه بأبيات منها :

يطعمون الناس غبا
في السنين الممحلات
في جفان كالجواب
وقدور راسيات

« ابن بســام مع الدرويش »

ابن بسام من تجار عنيزة ووجهائها ، كان يلقب بأبي المساكين محبة لهم ، وحباً في مساعدتهم .

كان يفتح ديوانه لكل قاصد سبيل ، وكانت الحاجة لمثل ذلك قــديماً أمراً لاغنى عنه حيث الطرق وعرة ولا هداية تهدي ولا دليل يرشد ، والصحاري تمتلىء بالسباع والهوام ، والظمأ يقتل العابرين . وحدث ذات مرة أن درويشاً في احدى القرى المجاورة جعــله الجوع يصبح طالباً الطعام فقدمه اليهم احدهم ثم خرج به الى طريق عام واعلمه كيف يوصله هذا الطريق الى مدينة عنيزة حيث ابن بسام .

حفظ الدرويش الاسم والطريق ووصله فأكرم وفادته وحقق ســـؤاله وقال له ابن بسام : أيها الدرويش أبشر ببلدك ، وكان هذا الدرويش من بين حجاج الهند الذين ضلوا الطريق ، فوكل به ابن بسام من يوصله للكويت وبواسطة عميل له هناك ساعده على الوصول الى بلده في الهند .

= = =

« قصــة لابن بسام مع جاره الذي يبيع بيتــه »

افتقر جار لابن بسام يوما وأراد ان يبيع داره التي كانت مرهونة لقاء دين عليه ، وعندما انتهت مراسم البيع وجاء وقت التوقيع قال الجار البائع : عرفت ثمن الدار ، فكم آخذ ثمناً لجيرة ابن بسام ؟ اريد ثمناً لذلك اعلى من ثمن الدار نفسها . وما ان علم ابن بسام . حتى سدد الدين عن جاره وابقى على داره .

« وما تقدموا لأنفسكم من خير تجدوه عند الله هو خيراً واعظم اجراً »

(صدق الله العظيم)

« وله مع جماعة العميان »

حكاية مضحكة مع جماعة من الفقراء كلهم عميان ، فقد حدث ان مر بجماعة من العميان ، فإذا بهم يسبونه بكلام مفزع تأثر منه عبده الذي قال له : ياعمي الجماعة يسبونك ، قال: هم على حق ، انني غافل عنهم ولسوف تعلم . .

استدعاهم ابن بسام الى بيته واكرمهم ، وكساهم كلا واهله واولاده وجعلها عادة لهم ان يتناولوا الافطار والقهوة عنده يومياً ، فعادت السنتهم تلهج بالشكر له والثناء عليهم ان الحسنة تؤلف القلب وتزيل الضغن .

= = =

« كريم وكرامة »

هذه قصة تثبت انه ما عال كريم . . . وان الصعب من امره سيكون سهلا في احلك الاوقات .

حدث ان فريقاً من العرب اجدبت ارضهم ، واصاب مواشيهم الهزال ونقص لبنها ، ووجدوا ابلهم لا طاقة لها بجلب الطعام من العراق .

وبينما الربع يسمرون بعد العصر عند كبيرهم ، ويشكون امرهم ، قال كبيرهم ، على نفسنا نحن صابرون ، فما بالنا لو حل بأرضنا ضيف ؟ والضيف عند البدو شيء كبير لشهامتهم وما جبلوا عليه .

وساقت الظروف جماعة من الضيوف ، فخشى مقابلتهم هذا الكبير وهبط وادياً قريباً وجلس ليستريح ، وتصادف ان احتاج لاراقة الماء ، فلما حثا من التراب ، اذ هو بحبل فجذبه ، فكشف عن حملين من الطعام تركهما وعاد سريعاً الى بيته يرحب بالضيوف حيث اطمأن على اكرامهم وارسل احد الرفاق اتى بالطعام .

بعد ذلك اذا برجل قادم على هذا الكبير ، تبين انه صاحب حلى الطعام كان قد دفنهما ليعود اليهما ، واقتفى الأثر حتى دله على بيت هذا الكبير .

استقبله صاحب البيت واعلمه الخبر وسرد عليه فصول القصة وعرض عليه ان يطلب التعويض الذي يريد ، فرفض الرجل في إباء وشمم ، وبنفس سمحة ، اليس عربياً ، سمح الخصال كريم النفس مطبوعاً على الشجاعة والرجـــــولة ؟؟ .

= = =

(من قصص الكرم)

عبد الله البازعي من رجالات نجد البارزين وزعيم من زعماء القصيم المرموقين ، كان امير بلدته وله فلاحة واسعة تدر عليه خيراً كثيراً لكنه كان غارقاً في الديون بسبب كرمه لكل من قصده ، لقد كان يطمع في رضا الله وفي جنته التي لا يدخلها بخيل .

وكان للبازعي مكانة عند آل سعود وآل مهنا لكرمه . وقد حدث ذات يوم وبعد صلاة العصر ، وهو خارج من المسجد ، اذا بركب ينزل عن الطريق الشرقي ، قاصداً قصره ، وهناك اناخوا .

كان هذا الركب من قبيلة شمر التي ينتسب اليها البازعي ، وشمر قبيلة حاتم الطائي ، صاحب المثل في الكرم والذي ضحى بأعز ما يملك . . فرسه ، والذي اثنى عليه امرؤ القيس لما اكرمه وقادته ، وكذلك اثنى عليه المصطفى ﷺ لما اسر على ابنته ، فأمر صلوات الله عليه باكرامها حيث قال : إن اباها كان يحب مكارم الأخلاق .

دخل البازعي الى زوجه يدبر الامر معها لأنه لم يكن لديه شيء ما يقدمه

للضيوف . وقد علم أن هناك عجوزاً عندها عنز سمينة وطرق الباب وعرفت انه الأمير ، وانه انما جاء يطلب العنز لخلو ذات يده ، فلم تفتح بابها وارتد خائباً .

أسلم الامير نفسه للتفكير ، وأسند ظهره لجدار قصره يفكر في المرب من هذا المأزق ، وبينا هو كذلك إذ بجملة تنزل القصر قوامها ستة احمال ضيف ثان حط رحاله في القصر ، ورأى ان من تلك الاحمال ما يحفظ عليه شهامته امام ابناء عمومته الشمريين ، أليس الحديث الشريف قد وعد ان من فرج كربة اخيه ، يفرج الله كربته ؟ تناول صرة فيها ستون ريالاً ، ذهب بها للعجوز ، ودق بابها واسمعها صوت الدراهم ، ففتحت له وسألته ما طلبه ؟ قال عنزك . قالت إنها ثمينة وغالية ، ولا اقبل اقل من خمسة ريالات فيها ، فأعطاها اياها ، وقاد العنزة وذبحها وادى واجب الضيافة .

وبعد سفر الشامرة اتصل بصاحب الاحمال وصارحه بالامر وانه دس يده في حل من احماله والتقط الصرة ، وقال له : لك ماتشاء ، واحكم بما ترى . ولشد ما دهش البازعي حين سمع الرجال يقول : لعلك لم تعرفني يا ابا حمود ، الاحمال الستة وصرة الدراهم ، والبعارين كلها لك . انا فلان راعيك ، انسيت وديعتك عندي ، هذا نصيبك ، وقد اخذت نصيبي ... يالها من صدفة موفقة . . يا له من درس يذكر الكرام الا ييأسوا اذا اشتد بهم الحال الا يقنطوا من رحمة الله ، الكريم الذي يحب الكرماء . . وما اصدق قول الشاعر :

لا تنكري عطل الكريم من الغنى
فالسيل حرب للمكان العالي .

★ ★ ★

شيء أشبه بالكرامة

وكان له روضة خصبة . . فلما اقبل الموسم بذرها كلها مؤملاً

ان الله سبحانه سوف يجعل فيها بركة تسدد ما عليه من ديون ، وحين طلب المعاونة من دائنيه اعتذروا جميعاً .

ولما يئس من بريدة تركها الى عنيزة ، وقصد فيها ابا المساكين ابن بسام تاجر كبير ومن اهل الاحسان ، والبازعي شخصية بارزة فاستضافه وبات عنده هو وخادمه .

اتصل بن بسام بخادم له ، جاهل ، حسن النية ، فسأل من هـــذا ؟ قال : البازعي امير الروضة . قال وما يريد ؟ قال يريد ان يستدين ، تعذره تجار بريدة لأنه غارق في ديونهم وما كان ابن بسام يشتغل بالدين او يتعامل به .

قام ابن بسام وحمل ناقته من كل خير ، واعتذر للبازعي انه لم يتعامل بالدين ابداً وساق اليه الناقة ، ورجع البازعي ولم يحصل على ما يريد .

وهنا تأتي الكرامة الثانية تهطل امطار غزيرة وصارت سنة مباركة .

الا ان رحمة الله قريب من المحسنين .

* * *

« قصـــة راع بالدود كرمه »

مر به يوما شيوخ بني سويط وهم حجيج بأعداد كبيرة قد تتجاوز المائة ، وهو يعمـــل في مزرعته المتواضعـــة التي يكاد يدفق من دخلها .

نزل هذا الحجيج قرب قصره ، وكلهم يعرف الـــكرم والاصول ، فلما شاهد نيرانهم ودخانهم اتاهم مسرعاً وصار يضرب قدورهم بقدمه شبه ثائر وهو يقول :

آ امام قصري توقدون ناركم ؟ ان عشاكم جاهز وقد ذبح كل ما يملك ثوره الذي ينضح عليه ، وقام هو واخوه ومن حوله بعـــد ما يقارب

عشرين صحناً وقام باكرام هؤلاء القادمين عليه . وفي عودتهم ارغموه على ان يصحبهم الى بلادهم وهناك بادلوه الاكرام واعطوه نياقاً ينضح عليها ، وحلوا هذه النوق من الارزاق وجعلوا ذلك عادة سنوية .

ويقال ان سبب تسمية هؤلاء بالسويط انهم يدعون كل مساء ليأتيهم الجوعان .

العرف

أليست هذه الحكمة صادقة ، تلك التي تقول : لا يذهب العرق بين الله والناس ؟ .

* * *

« حادثة أخرى ... معه »

اتاه ضيوف وقصره خال من كل شيء ، فقال لامرأته دبري حالك . وكانت زوجه امرة طيبة كريمة ، فدبرت العيش من جيرانها ثم ذهب هو ببندقيته فأصاب ضبعاً لم يستطع حمله الا بصعوبة وقدم للضيوف طعامهم واشبعهم هم ومن شاركهم .

« الباب الرابع »

(الوفــاء والصــدق ـ فيه ثلاثة فصول)

الفصل الاول :

[الصــدق والوفــاء]

« قصة الكمر وطـــير الرخم »

هذه قصة تصور الصدق والأمانة وكيف يعودان على صاحبهما بالخير والبركة في الدنيا والآخرة .

كان صديقين يتاجران في الابل في مصر والشام ، وبالمواصلات بين المدن والقرى وحصلا على مال كثير .

كانت العملة ذهباً وفضة فوضعا ما معهما في أحزمة تسمى كر حول الوسط داخل الثياب خوفاً من قطاع الطرق .

اختارا حزامين متشابهين وناقتين ثم سافرا . وفي الطريق جلسا بجانب سدرة عالية للأكل وعمل القهوة ، وحدث ان علقا الكرين على فرع السدرة ، وبينما هما كذلك اذا بطير من طيور الرخم يخطف احد الكرين ظاناً انه قطعة من لحم وذهب به ، فتظاهر احدهما بأن المخطوف كره هو ثم افترقا فسرق احدهما الى اهله في بلده وعاد الثاني يترزق الله من جديد .

وبينما هو في الطريق اذ يعثر على الكر المخطوف وقد رماه الطير ، وبالنظر الدقيق اليه عرف انه كره هو وان الذي عليه هو كر اخيه . ولما عاد اشرك مال اخيه في تجارته التي ربحت ونمت بفضل الامانة والصدق .

عاد صاحبنا إلى بلده وسأل عن صديقه هذا ورأى ما فيه من نعمة وخير، وعاش بين ترحيب صديقه وإكرامه . ثم عرض عليه صديقه زواجه من ابنته فقال : مالي الى مهرها من سبيل ، فقال صديقه والد الفتاة . المهر مدفوع وكل شيء جاهز . . وتم الزواج ثم أعطاه نصيبة من التجارة ليعيش .

سأل الصديق صديقه من أين كل هذا ؟ فقال : من كرك ، انك بعد أن فارقت على إثر حادث طائر الدخم ، واتجهت أنا للبلد وأنت للغربة ثانياً ، لقيت الكر في الطريق ولقد كان كري أنا فعرفت أن الذي ألبسه هو لك وذلك لأنها كانا متشابهين فحفظت لك مالك في التجارة وأصبح على النحو الذي ترى . . . حقيقة ان الله لا ينظر الى صوركم ولكن ينظر الى اعمالكم إنما الأعمال بالنيات ولكل امرىء ما نوى .

★ ★ ★

[الوفـــــــــاء]

الوفاء خصلة طيبة ، وسلوك محبوب ، مـــدح الله سبحانه وتعالى المتصفين به في عدة آيات من القرآن الكريم ، ومدحه النـــبي ﷺ في أحاديث جمة ، وما أشنع عكسه الغدر .

هذه قصة شاب محكوم عليه بالسجن ورجل كهل محكوم عليه بالقتل . قرب الحكم على الشيخ ، وهو صابر محتسب ، مؤمن بالمقسوم له ، لكن خلفه صبية صغار بنين وبنات ، ما لهم من كاسب غيره .

نظر الشاب السجين اليه وقال : ياعم ، أنا لم أتزوج بعد ، وليس لي أطفال وإني على استعداد لأن أفديك ثم أكد الشاب عزمه ، وكل الذي أرجوه أن تحج عني .

نودي على الشيخ لتنفيذ الحكم ، فتقدم الشاب في جرأة وشجاعة ، وقال : أنا هو ذا . ولما ذهبوا به إلى ساحة الاعدام رايهم سنه ، إنه شاب

والمطلوب رجل كهل وعرضوا الأمر على الامير فقال : نفذوا الحكم فأعادوا على الامير الامر فقال : أشيخ هو أم شاب ؟ قالوا انه شـــاب فأمر بعرضه عليه .

قال الامير للشاب : ماحملك على ما أقدمت عليه ؟ قال : الرحمة والعطف إنه رب عائلة وأنا لم اتزوج بعد ، فأردت أن افديه بنفسي ، فشكره الامير والحضور وعفى عنهما معا :

« وما تقدموا لأنفسكم من خير تجدوه عند الله هو خيراً وأعظم أجراً »

« صدق الله العظيم »

= = =

الفصل الثاني :

(قصة التاجر وابنه مع البدوي)

« رب صدفة خير من ميعاد »

قصة ما أكثر عبرها ، فقد حكي أن تاجراً حين بلغ ابنه مبلغ الرجال . أراد ان يمرنه على أساليب الحياة ، فأعطاه ثلاثة آلاف دينار وامره ان يذهب لأحد امراء العرب لشراء عدد من الابل .

سافر الشاب واستضافه الامير الذي رحب به ونزل عنده آمنـــا على نفسه وماله .

مكث الولد ببيت الامير ، لا يشارك الامير نشاطه في القنص وبقي هو وربة البيت الجميلة التي ينطبق عليها قول الشاعر :

حور حرائر ما هممن بريبـــة

كظباء مكة صيدهن حرام

يحسبن من لين الكلام زوانيا ويصدهن

ويصدهن عن الخنــا الاسلام

هم الولد بربة البيت . . ما خلا رجل بامرأة إلا وكان الشيطان ثالثهما فبينا هما جالسان . هم بتقبلها وعرض لقاء ذلك خمسمائة ريال ، فوافقت وقبلها وكررها ست مرات حتى أخذت منه المبلغ الذي يحمله وهو الثلاثة آلاف ، وقد كان يطمع فيما هو اكثر من القبلات فلم يحصل ذلك واصبح صفر اليدين خجل الاقامة .

طلب ديناً من صاحب البيت فقال له ماذا عزمت ان تشتري ؟ فأجاب إنه تأخر ويجب ان يعود لأخذ رأى ابيه ويزيد مامعه من مال ، فأمر الأمير صاحب الدار ان تجهز له زوجته ناقتـــه وفي اثناء ذلك وضعت دراهمه بمزاهبه وسافر .

قالت الزوجة للأمير إن الشاب جاهل ودراهمه معه ولا بد من ان تحرسه ، فامتطى فرســــه وحرسه حتى وصل الى والده فوجده مريضاً مرض المنية ثم توفي .

وناب الابن عن ابيه في تجارته وكانت تجارة واسعة ، وبينا الولد جالس في حافدته إذ بدوية رثة الثياب تمـــــر به ، فدعاها يريد ان يتصدق عليها فلما اقتربت منه فاذا هي تلك المرأة التي احسنت اليه وسترته وحفظت له كرامته كما حفظت سمعت شرفها لما تتصف به من عقل واتزان .

سألها عن حالها فقالت له انت اخبر بالبدو لانك تتعامل معهم بالتجارة أغار علينا من سبق ان أغرنا عليهم ، واخلونا اسرى ، وهربت النساء بشرفهن ، ولا علم لنا عن رجالنا وانها يهمها البحث عن زوجها ، فأبدى عطفه عليها واستجابته لطلبها ، وذهب بها الى البيت حيث والدته الصالحة وأمر جميع من في البيت باكرامها والاحسان اليها والحرص على راحتها ،

ورحب بها الجميع وخاصة والدته ، وكان قد اخبرهم بما حصل على زوجها وهل قتل أم على قيد الحياة . . .

آنست البدوية بمكانها الجديد وكل آمالها أن تعرف عن زوجها خبراً والولد يطمئنها بأنه جاري البحث عنه .

وذات يوم بينما هو جالس في دكانه إذ بزوج البدوية يقطع الشارع وحاله تدعو الى الحزن والرثاء فعرفه ودعاه ثم سأله ان كان يريد شيئاً فقال أين انا والحاجيات ، أريد ان تستر عورتي وبعد أن استراح اخذه الى البيت واكرمه وكساه ثم قال : ما ذا تريد وقد ارتحت ؟ قال زوجتي ، اريد البحث عنها ، كنا بخير سعداء اغنياء فأغار علينا اعداؤنا وكانت لهم الغلبة وهامت زوجاتنا على وجوههن ومن بينهن زوجتي . . .

قال وما ذا انت صانع الآن ؟ قال احاول البحث عن زوجتي .

كان الرجل يتكلم والولد يفكر في طريقة للجمع بينهما ، هو وزوجته رداً لجميله هو وزوجته . ان العرب يحترمون قوانينهم وشيمهم والمروءة من صميم اخلاقهم حتى مع الاعداء .

جهز التاجر الصغير بيتاً من الشعر واودع فيه من الطعام ما يكفي لأشهر وزوده بكل ما يحتاج اليه ، وربط بأوتاده بعض الابل والغنم ، ثم قال للزوج : انني بحاجة ماسة اليك لترعى ابلي فقال : حتى اعلم شيئاً عن زوجتي ، قال له : ان عندي لك زوجة صالحة حتى تعثر على زوجتك فقال انا بدوي ولا استطيع ان اعيش مع الحضرية . قال : انها بدوية ، معروفة ، صالحة ، وانت تعرفها حق المعرفة وعلى حد قول المثل ابدأ بم شوشه حتى تحصل على المنقوشة .

سكت الاعرابي وعلى مضض . ثم تركه في الدكان لبعض الوقت وذهب الى امرأته فأخبرها بأنه اختار لها رجلاً صالحاً ، فقالت انني لا اريد

غير زوجي ، ولن اتزوج حتى اتحقق من وفاته . ألح عليها هو وكل من في البيت فخجلت واخيرا وافقت على كره منها متأثرة بإحسانهم اليها فأرادت الا تردهم ، عندها قال التاجر : انتم بدو ولا تحبون القصور ، ولقد اعددت لكم بيتا من الشعر مزودا بكل ما تحتاجون اليه للزفاف والمعيشة .

وكم كانت فرحة الزوجين حين تم اللقاء بينهما ، لقد كانت مفاجأة سارة ، وكانت دموع الفرح حتى لحق فيها قول مجنون ليلى .

طفح السرور على حتى انه
من فرط ما قد سرني ابكاني
يا عين قد صار البكا لك عادة
تبكين من فرح ومن احزان

وفي الصباح اخبرهما التاجر ان البيت وما فيه ملك لهما ، ثم قال : انكما اكرمتماني وانا في بيتكم بدون سابق معرفة وتلك سنة الحياة . .
« من جاء بالحسنة فله خير منها وهم من فزع يومئذ آمنون »
(صدق الله العظيم)

= = =

الفصل الثالث :

«(الأمير المتدروش)»

قصة فيها وفاء وشرف ورجولة ، كان العالم فيما مضى تتناوبه المنازعات - وليس الآن بأفضل مما كان - دويلات وامارات متخاصمة ، حروب تقوم ، وما الجهل مصيبة .

أمير مقاطعة ثار عليه احـــد خصومه ، من اقاربه وهجم عليه ليلاً وهو بقصره وقتل من قتل وفر من فـر .

هـام الامير على وجهه واتخـذ من نفسه درويشاً ، وبينما هو يضرب في الارض اذا بجماعة من البـــدو قصدهم فاستضافوه واكرموه ووكل كبيرهم الى زوجته امر خدمته .

كان كبير البدو هذا والذي نزل الدرويش ضيفاً عليه ، يهوي القنص ، وكل يوم يخرج له ويأتي بصيد ثمين وتصادف ان كانت سنة خير وبركة وخصب.

كان البيت طول اليوم يضم الزوجة وهذا الدورويش ، وللشيطان فعله، وليس من معصوم سوى الرسل وقد قال السلف : امـني على الف دينار ولا تومني على جارية سوداء لا تحل لي .

وفي ذات يوم طلب الدرويش الى الزوجة ان تكشف عن ساقيها لقا خمسة جنيهات وجعل كل يوم يطلب مزيداً حتى وصل الى نقطة اراد المزيد بعدها فقالت : هذه حدود الرجل اطلبها منه وسوف لا يقصر .

اظلمت الدنيا في وجه الدرويش ، واحس بذنبه ، والخطأ الذي ارتكبه في حدود من اكرمه فاستأذن الحرمة مودعاً وداعياً لصاحب البيت .

حضر زوجها وسأل عن الدرويش فقالت انه يسلم عليك وقد ذهب ، وقد ترك ناسياً عشرة جنيهات . فسألها ايها الجهات قصد ؟ ثم امتطى فرسه ولحق به ، ولما ادركه قال له . لقد نسيت الجنيهات ، قال : انها مني هدية . قال : لن نقبلها ولو اقمت بيننا بقية عمرك ، واعطاه الجنيهات ثم رجع الى بلده . وهي التي دفعها لقا ان تريه ساقيها ثم ركبتها ثم فخـــذها وهي حدود الرجل .

عاد الامير (الدرويش) الى بلده مستسلماً لقضاء الله ، ولما علم الناس بمقدمه اخـذوا يعبرون عن فرحهم ، وعادت الامور كما كانت طبيعية .

دارت الايام دورتها وقد نزل على الامير ضيف حسبه يطلب حاجة ، فسأله : ما حاجتك ؟ قال ضيف الرحمن . . فحياه ورحب به ثم قال : ن معي زوجتي وطفلها خارج البلد ، فنادى الامير على احد رجاله وامره باحضار المرأة وطفلها فلما وصلا : رجل الامير والضيف وجدا المرأة تبكي فسألاها لماذا ؟ قالت ، ان فارساً اتاها وخطف ابنها البالغ من العمر ٤ سنوات وكانت هناك عصابة تخطف الاطفال ، فطمأنها الامير واوصى بها خيراً لدى اهل بيته .

وفي مساء احدى الليالي وهم يسمرون ، مرتاحين ، قال الامـــــير : للضيف (امير البدو الذي كان قد نزل عنده يوم الغـــارة عليه) بودي لو تحدثني عن امر وقت مر عليك وعن احلى وقت . قال : سابدأ باحلى وقت .

في سنة من السنوات استضفنا درويشاً كانت سنة خــــير وبركة حتى اسميناها سنة الدرويش ، كانت سنة ربيع ولــــبن واقسط وصيد سمين فهي عندي احلى سنة . اما امر وقت فكان يوم ان اخذ الحلال مني وصرت ذليلاً بعد عزة وفقيراً بعد غنى حتى طفلنا ما نعلم عن مصيره شيئاً ، قال الامير للبدوي سأجعلها احلى ليلة واسعدها . . انا درويشكم ، والغلام مـــع اولادي وكذلك حلالك ، لقد خلصنا كل شيء من يد العصابة التي اعتدت عليكم .

وبالغ الامير الدرويش في اكرام امير البدو فبنى له بيتاً زوده بكل ما يحتاجه ومنحه ابلا وغنما وفرسا رداً لجميلهم . . وحقاً ما قالوا : لا يضيع العـــــــرق بين الله والناس .

= = =

« قتل ابنــه وفاء للعهـد »

كانت الجزيرة قبل توحيدها على يد المغفور له جلالة الملك عبد العزيز طيب الله ثراه ، تعج بالفوضى والاضرابات ، جهل وفقر .

وكانت وسيلة المواصلات الابل تنقل كل شيء . وكانت قبيلة تختار من اشد رجالها رجلاً يرافق الحملة ليحميها لقاء أجر معلوم .

وحدث أن حملة من الحملات استأجرت أعرابياً اتفق مع رجالهـا ثم كلف ابنه الذي كان يعشق الفروسية ، بدله ليقوم بالمهمة ، لكن هذا الابن عشق فرساً ركبها وهرب بها الى الكويت حيث باعها هنـاك ، وحسب أصول العرب يسمى هذا الابن قاطعا وجه أبيه .

علم أبوه بالقصة فأسف ، وذهب اليـه واستدرجه حتى أخرجه من الكويت ثم قتله ، وبعث برأسه لصاحب الفرس ، اعتـذاراً له ، وفي رواية أنه سلخ وجهه وأرسله .

إنها مأساة أب لكنها تقاليد العرب وشرف العرب ! !

= = =

(القبـائل والفيضة وجعيلان بن سويط)

« ووفـاؤه »

الفيضة الأرض الواسعة الخصبة وتسمى الروضـة والفيضة .

في أحدى السنين أجدبت الجزيرة واخصبت تلك الفيضة التي تبلـغ آلاف الدونمات وكانت تقع بين نجد العراق ونجد الحجـاز ، وأقرب ما تكون للعراق .

وكانت القبائل التي تقوم حولها بينها الدماء والحروب ، وكل قبيلة تطالب الأخرى .

اجتمع امراؤهم وعقلاؤهم وتشاوروا في أمر عقد صلح لمدة الربيع فقط وتم الاتفاق على ان المدة هي أربعة اشهر وكأنها الأشهر الحرم . واتفقوا على احترام ذلك العهد احتراماً لرؤسائهم .

نزل بهذه الفيضة معظم قبائل الجزيرة العربية ، كل قبيلة بجهة والقصة ان رجلاً استضاف ضيوفاً اكرمهم ، وبعد ان صدروا عنه تبعهم جار له وغدر بهم بسرقة وقتل ، فصار يدور عليه فلما شاهده ، عزف عن الطعام والنوم حتى نحل جسمه لأنه رأى في ذلك جريمة لا تغتفر حسب عاداتهم .

لاحظ ذلك عليه جاره فقال لزوجته : فلان عاشق ، لكن تجملي ، فارادت ان تسأله عن سبب حاله فلم يلتفت اليها لكن جاره ألح عليه في السؤال فقال : إن فلاناً (جار آخر) غدر بضيوفي وسوف لا آكل ولا انام حتى اقتله .

وامام اصراره قال له صديقه : بمكان كذا قريباً من مورد الماء . سأجعل فرسي مع اختي واعمل ما تشاء مع خصمك واختر فلاناً (اكبر الامراء) لعله يزبنك ويحميك .

فعل الرجل فعلته وقتل خصمه ، وذهب راكباً الفرس ، وقصد بيت اكبر الأمراء فرفض ان يحميه ، لكن عرض عليه ان يهديه لمن يحميه .

تبع الناس القاتل الى الذي قصد وسألوا الأمير : هل انقطع الوجه ؟ قال : لا . قالوا سلمنا المجرم . فركب حصان الامير وزبن جعيلان بن سويط من قبيلة السويط من خير القبائل فتبعه خصومه الى هناك . لكن جعيلان امره يزبن بيت والدته ، بيت خاص داخل البيت وطلبوا الى جعيلان

ان يسلمهم المجرم . قال جعيلان لن اسلمكم إياه فقد زين بيت الوالدة والوالدة بالحج ولم تكن قد حضرت العهد . ولذا لقب بصاحب البويت .

« وأوفوا بالعهد إن العهد كان مسئولاً »

(صدق الله العظيم)

* * *

[ولجعيلان مع المهنا وخروجهم من سجن بن رشيد]

ألقى محمد بن رشيد القبض على حسن المهنا واخوته وابنائه الثانية الفرسان من امراء القصيم . اخت حسن كانت مع محمد بن رشيد وبالتعاون مع رجالهم وكان الدايدي قد جهز لهم النوق الأصائل برحالها واحلاسها وما يتطلبه السفر الطويل ، وواصلوا السير سراً .

استضافهم جعيلان الذي سألهم من الجماعة ؟ قالوا : تجار مواشي ، قال لستم بتجار ، اعلموني من انتم وانتم ببيت جعيلان لن يمسكم اذى ما دمتم بضيافتي ، فأخبروه انهم آل مهنا ، فزاد في اكرامهم وبالغ في ضيافتهم ، وابدل نوقهم بأحسن منها ، وامر ثلة من فرسانه لاصطحابهم وحمايتهم حتى بلغوا مأمنهم وهو حدود الكويت ، ولما جاء البعض يسأل جعيلان قال : ما رأيت سوى تجار من العقيلات على ما ذكروا .

« الباب الخامس »

(فيـــه ثلاثة فصـــول)

الفصل الاول :

« الشيمـــة والوفـاء وفعل الاحسان »

قصة يقال إنها وقعت مع حجرف الدويبي : شيخ من شيوخ حرب ومن رجالها وفرسانها البارزين .

اراد حجرف زيارة محمد بن رشيد ، فناشدته امرأة من عربه ان يوصلها الى اهلها ، واخبرته انها في حالة ولادة وليس لها من محرم الا هو ، وانه كبير الحي وهو كل شيء بالنسبة لهم .

ولما ساروا مدة قالت : انزل يا الامير بسرعة ، قال : ماذا ؟ قالت : حضرتني الولادة ، انزلها واخذ بندقيته وذهب للقنص ، ولما سمع بكاء الجنين اسرع وعاد وعمل ما يمكنه عمله وما يقدر عليه في مناسبة كهذه حتى نجت المرأة ووليدها وعاود ذهابه للقنص .

رجع بعد ساعات وجدها اي المرأة نائمة وبجانبها طفلها ، فهيأ لها طعاما ومكث هكذا في خدمتها خمسة عشر يوما حتى قوى جسمها وذهبت الى اهلها في صحبته .

عاد صاحبنا وذهب لابن رشيد وقص عليه قصته فشكر له صنيعه واكرمه .

= = =

« المهـــادي وجـاره وقصتهمـا »

قصة نقلت من عدة مراجع وأرجو الله ان أكون قد وفقت للصواب في نقلها . وهي قصة عن شيخ رحمه الله ينقل عنه ان الكتاب قد يخدعون مجتمعاتهم بأقلامهم، والعصمة للرسل، وكلنا خطاءون وخير الخطائين التوابون، نسأله سبحانه وتعالى التوبة والغفران .

التجأ الى المهادي مجرم قاتل ، فآواه ، وأحسن وفادته ، وقد اختار المهادي لنفسه انه سيأويه ويحميه ، بعد ان يخبره بما اقترف . ولما علم المهادي بموضوع اللاجيء أنزله على الرحب والسعة . وكان للمهادي زوجتان فأمر واحدة منهما ان تخرج من بيتها وتدخل على جارتها ، في بيت فيه كل متطلباته ، بيت أمير غني من بداوي الشام، وجاره من بداوي الجنوب .

وكان للزوجة التي خرجت من البيت ابن يرعى الابل بالربيع، فلما قرب مجيئه جاءت زوجة المهادي واخبرته : ترى ابن فلانة سيحضر الليـــلة ومن عادته ان ينام معها في الفراش . . .

وكان المهادي وجاره يلعبان الخوطة ويسمران حتى وقت متأخر ، ثم وصل الولد راعي الابل في منتصف الليـــــــل متعباً ونزل بالبيت وألقى بنفسه بجوار زوجة الجار التي اخذها النوم ظاناً انها امه .

وحضر الجار وقد رأى الشاب هكذا يباطن زوجته، فثار وغلبه الحق وبقر بطن الشاب ففزعت المرأة قائلة : حسبك الله، إنه ابن المهادي الوحيد، ولكن ما فات لا يستدرك ، وقد سبق السيف العزل .

رجع للمهادي وقال له : لقد قتلت ابنك خطأ ودون تعمد فقال المهادي هذا قدر الله ولا بد ان ينفذ . . . حملاه خلسة رمياه في ملعب الصبيان في الصباح غضب العرب وهددوا بالانتقام من القـــــاتل لو عرفوه ، وجمعوا الكثير من الابل واهدوها للمهادي اميرهم .

اما ابن الجار فقد اخذ يحاول من ابنــــة المهادي مدة طويلة ، وكلما اخبرت اباها قال لها تحفظي ولا تخافي .

وذات مرت بينا هي تحت شجرة إذ هجم عليها ، وكانت تتمتع بقوة فقذفته عدة امتار واخبرت اباها الذي ســـئم مثل هذا العمل الذي يرفضه الشرفاء الغيورون ، واستمر الولد في مهـــاترته .

اخبرت امراة الجـــار زوجها بذلك وقالت لا بد ان نرحل . المهادي جاءه منا ما يخل ، وكفى اننا قتلنا ابنه ، وصفح عنا ، يكفي هذا ولا بد من ان نرحل من هنا . قال زوجها انني هنا في امن وغـــــنى فأصرت الزوجة . . .

وفي الصباح هدوا البيت والمهـــــادي ينظر اليهم ثم سألهم : الى اين يا جارنا ؟ قال استودعك الله واني اشكرك ويكفي ما جرى ،

ومرت الأيام وبعد مدة استضاف المهادي ضيوفا رمتهم الاقدار مرة واستضافوا جاره الذي غادر واسمه مفرج وقالوا : كنا مرة نذكرك امامه بالخير فقال هذا اللئيم . يخسأ ، ذبحنا ولده ، ونكحنا ابنته .

ثار المهادي لهذا الخبر . . فغزاه وقتله ، وقتل ابنه الذي حاول من ابنته ويتبين ذلك في بعض ابيات من قصيدته التي هجاه فيها :

عفا الله عجوزا من سبيع بن عامر

ما علمت اقرانها في شبابهــــــا

لها ولد ما حاش يوم غنيمـة

اخذها كلمة عجفا تمائز ثم جابها

★ ★ ★

قصـــة العنقـــرى

قصة يفخر بها كل عربي وخاصة أبناء الحضر . كان محمد العنقري يداين أهل البادية ، بكل حسن معاملة ودين ، فاذا نزلت المياه البادية بالصيف بعث بابنه يستلم ما على الناس من حقوق والديون التي حلت عليهم .

كان من عادة الابن أن ينزل عند كبير الحي وقد يكون أكثرهم دينـاً وفي أثناء جباية هذه الديون رأى ابنة هذا الكبير (الأمير) وكانت ناضجة في عز شبابها ، وجمال الصحراء معروف تغنى به الشعراء منذ القـــــدم كقيس ، وابن أبي ربيعة وغيرهما كثير ، فخطبها من أبيها الذي رحب مسروراً بهذه الزيجة . والعنقري كذلك أمنية كل فتاة .

ولما أخبرها أبوها بأن العنقري خطبهـــــا رفضت وفشلت معها كل المحاولات .

ولما علم العنقري برفضها صدف عنها بنفس أبية ، لـكنه خجل من نفسه كيف تعافه ؟ وكيف ترفضه ؟

انتظر العنقري ذلك اليوم الذي يجعلها فيه تندم أو ترتد عن اصرارها ، وبينما هو عندهم في احدى سفراته ليستوفي الديون وإذا بأعـــــداء لهم يغيرون عليهم ويأخذون إبلهم ثم هربوا بها ، وما لهم امام ذلك من حيلة .

كان العنقري يحتسي القهوة آنذاك وأمامها أدواتهـا وانتهز الفرصـة ووجد فيها غايتـه التي يتمناها فطلب فرساً ورمحاً ولحق بالقدم ، كأنه الصاعقة ، ويا ويل من يعترض طريقه . بالصوم

أخذهم عرضاً ثم طولاً فمزقهم شر ممزق ، ومن حسن حظه كان معظم البنات يركبن هوادجهن وفيهن تلك الفتاة التي رفضته ، ولما رأت شجاعته قالت لصويحباتها : شيء كالخيال ، كنت أحسبه جميل فقط ، لكنه فارس مغوار

وصار معظم البنات يحسدونها عليه ، على فارس الفرســـــان ، الذي فك إبلهم ، خطيبها الذي لم تقبله ولم يجد معها أية وسيلة .

وحدث العكس ، كان هذا الدور ان رجوه هو ان يصفح عن رفضها الســــــابق ولكنه أصر ، وظلت على أمـــل ، تنتظر السنين الطوال وقد قيل في تلك المناسبة شعر جميل :

الله لحد يما غزينا وجينـــــا

ويا ما ركبنا حاميات المشاويح

وياما عــــلى كيرانهن اعتلينـا

ويما ركبناها عصير مراويح

وياما تعاطت باباهنادي ايدينـا

ويـا تقاسمنا حلال المصاليح

وراك تزهد يا اريش العين فينا

تقول خيال الحضر زين تصفيح

ترى الظفر ماهوب لطاعنينا

قسم وهو بين الوجيه المفاليح

البدو والى بالقرى نازلينـــــا

كل عطـاء الله من هبـة الريح

يوم الفضـول بجلتك شارعينا

والشلف بخوانك سواة الونابيح

يوم الجمر رعي خذيت السنينا

وأودعيت عنك الخيل سم مدابيح

ياعود ريحان بعرض البطينـــا
وامثين ما هب الهوى فاح له رميح
ونهودهـا اللي ما لمجها الجنينـــا
حمـر شعرهن تجرح الثوب تجريح
لا خوخ لا رمان لاهيب ثينـــا
لا مشمش البصرة ولا بالتنا فيح

* * *

الفصل الثـاني :

[حجـول وزوجتــــه]

قصة تجمع بين الطرافة والعبرة .. ثم الرجـــــولة والشهامة . حجول كبـــــير فريق من العرب يعتبر مضرب الأمثال في معرفة الطرق والمتاهات التي تقضي على الكثير في يوم ان كان لاطرقاً ممهدة، ولا مواصلات. وفي كل سنة يكون هناك عدد من الضحايا ممن يضلون الطريق، وكان للمواشي نصيب آخر من هذا الهلاك .

وحجول علم من الأعلام الذين لهم خبرة بمعرفة الموارد ومصادرها وهو من سكان الصحراء الرحل ، يسكنون بيوت الشعر .

كان حجول قاسياً على زوجته ، ولقـــــد اذكر بالمناسبة ما نسب الى عمر بن الخطاب رضي الله لمــــا جاءه من يشتكي زوجته واذ ام عبد الله (زوجة عمر) تتـكلم عليه ، فـأراد ان يرجع ، لكن عمر رضى الله عنه عرف ان له حاجة فدعاه وسأله : ما حاجتك ؟ قال : جئت اشكو زوجتي، وقد قنعت لما سمعت زوجتك تتكلم معك .

قال رضي الله عنه : يا هذا . . انها طابخة لزادي ، غاسلة ثيابي .
قال : أكرمها ، فلما ولى دعاه ، يا هذا : إنهن يغلبن الكرام ويغلبهن اللئام ، لا يضربهن ولا يقسو عليهن إلا جاهل لئيم . المهم ان حجول سئمته زوجته وتعبت وسألته ان يطلقها فأسف اسفاً شديداً ، كيف تطالب منه أن يطلقها ! ؟ وهو الفارس والأمير والدليل فسألها : هل انت جادة فيا تطلبين ؟ قالت نعم ، لقد تعبت منك قال وماذا تريدين قالت خروف وخروف هذا اسم لراعي عندهم يطلقون عليه هذا الاسم جاهل ناقص العقل ، ولما عرف عزمها ، اكد عليها واشترط ان تأخذ « خروف » هذا بعد العـــدة ثم طلقها .
ومشى الحال بينها وبين خروف ولعلهـــا وجدت فيه رغبتها ، لفراغه ولأنه لا هم له ولا مال ، ولا حلال .

جزع حجول اشد الجزع وفي احدى الغزوات وعلى غير العادة كلف خروفاً بأن يغزو نيابة عنه ، والرعاة عادة لا يغزون لكن حجولاً اجبره ، فلما قربوا من احد الموارد امرهم ان يريقوا ماءهم حيث أن الماء قريب ، فلما وقف على جب المـــاء الخفي ، صفق بيديه وصاح قائلاً : يا عرب لقد ضللنا الطريق ، فندموا لأنهم ضحوا بما معهم من ماء هم في حاجة اليه لهم ولابلهم وصاروا في حيرة .

اقترح حجول عليهم ان يرجع خروف ويخبر اهليهم بما حدث ، فجمع له قليلاً من الماء مما معهم ، واعطوه اياه قال الطريق فقالوا امسك الاثر وإذا اقبل على الحي يصيح قائلا ان حجول ضل الماء ومات العرب من الظما وقد ارسلوني اخبركن ، فلبسن السواد ثم قلن : وما اوصاك ؟ قال هاكن ابياتاً من الشعر وكان حجول قد درسه إياها زيادة في التهكم عليه . .

إذا جيت اهلنا يا خروف

قـــل العرب هلكوا ظموا

دليتهم وأنا حجـــول
إلى ما لقمـــر غشاه نوا

أسـدهن واوردهن دحـول
بلا علامات ولا رجوم تموا

فعرف أنه مضحوك عليه وحشــــا على رأسه الـــتراب ..
لقـــد كانت هذه مكيدة دبرها حجول لخروف . بعدها حضر القـوم واقيمت الأفراح والزينات وذبحت الذبائح وتمشى القـوم وفي النهـاية فرش حجول قميصه وملأه من العيش وقال يا خروف : إن زوجتك تحب هذا وصب عليه من المرق فأتى خروف زوجته يخرخر على ساقيه وفخذيه شيء عفن ، لكنها لم تبال وكتبت للحجول ما جعله ييأس منها :
نفسه شيمتها برجال الشجاعة ودها بين المشاعيد صلطنيه
ودربهم غير المقاعيد سلفين ورا ما يندس
وره يتندس في وسط الجماعة
يرعى بهم والغنم والبعارين

لاضربته صار قلبـــه رعاعة
يقول يا هنا الحشاويش تبعين

لو تضربه مشتدة في دراعه
لا هوب شاكيها ولا الناس داريين

فيئس حجول منها مع أنه يحبها وهي تحبـــه ، ولكن ما أثرت مالا يخفي من رغبتهن ، أمـــيرها مشغول بالغزوات والأسفار يمضي الشهور بدون مواصلة أما هذا الـ « خروف » فهو بجانبها ليله ونهاره ...
والناس فيا يمشقون مذاهب .
عنكرحنطاء شاب وليدها
ولنا سي فيا يمشوا مذاهب

[فضلت الراعي على الأمـــير]

هذه قصة تحوي الفروسية والبطولة إلى جانب العبرة ، قصة ابن يتيم لم تلد أمه سواه ، تركت له حرية الغدو والرواح ، كان يعمل راعي غنم تملكها والدته العجوز وهم من قبيلة لبدو الرحل رئيسها شاب شجاع كريم فيه كل الخصال الحميدة وتقول العوام ، ما يقلط من قوم الا خيارها .

وكانت له ابنة عم تتمتع بجمال الصحراء الخلاب ، فتاة يطمع فيها كل شاب وكانت مثلها مثل فتيات الحي تسرح بغنيات أهلها . . ويا لتلك العادة المتوارثة أن تحجز ابنة العم لابن عمها رضيت أم ابت . رعي الحيره

كانت الفتاة تلتقي بابن العجوزة في تلك الفـــلاة الواسعة مثل سائر العربيات الراعيات وتحابا وتقاسما الغرام ، وصارا شبيهين بقيس وليلى حيث يقـــول :

تعشقت ليلى وهي غر صغيرة

ولم يبن للترب من ثديها حجم

صغير ان ترعى البهم ياليت أننا

إلى الآن لم نكبر ولم تكبر البهم

وهذا غيره يقول بعد بلوغ الأماني . . .

ومن عظم المصاب على الهـوى

قرب الحبيب وما اليه وصول

كالعيس في البيداء يقتلها الظما

والمـــاء فوق ظهورها محمول

فلما بلغت السن والغـــــاية ، طلبها ابن عمها فعم الجميع السرور

كيف لا وقد طلب يدها أمير القوم وابن عمها ؟ ولما ذهبت والدة الفتاة تخبرها الخبر كانت المفاجأة التي أذهلتها ... كان ما لم يكن أبداً في الحسبان .. رفضت البنت ابن عمها الأمير والفارس والشاب الفاتن ، الجامع لكل خصال الشهامة والرجولة والخير . . ! !

صدمت والدتها التي ما كانت تظنها جادة فيما تقول ، لكنها أي البنت بقيت على إصرارها ولمــــا ألحت عليها أمها قالت ان زوجها فلان ابن العجوز اليتيم ، أما غيره فالقبر أولى بها منه .

أخبرت الام اخوانها بالسبب فهددوها أمام إصرارها وعزمها وهي لم تبال بشيء مما يقولون وثبتت على رأيهــــا دون ان تبدي الاسباب وأمام المضايقة والالحاح قالت انها ستكون زوجة لابن العجوز .

قالت الاخوة سنترك الامر لابن عمها إن شاء سمح لها وإن شاء حجزها باقي عمرها وأخبروه الخبر . لكن النفس الكريمة كريمة عليها وعلى الناس فقال لا تكرهوها ولا تضايقوها ، ووصل الخبر ابن العجوز وقد أفسح له ابن عمها في مجلسه حيث العرب يسمرون حتى منتصف الليل .

وفي احدى الليالي خلا المجلس الا منهما فسأل الامير الراعي اليتيم لم لم تشارك العرب في سوالفهم فقال : ليس عندي ما أحكي عنه أو أحكي به فقال الامير عليك أن تشتري بندقية وناقة جيدة فوالدتك غنية وكان من عادة العرب أن من بلغ مبلغ الرجال لا بد أن تكون لديه وسائل الحرب اتقاء غارة المغيرين وكانت والدته مسرورة لأن العرب عنه غافلون في هذه الناحية لأنه ليس لها بعد الله الا هذا الابن .

وابدت الام حزنها فقال لها : يا اماه لا تخشي شيئاً ما دام الله معي ما دمت عني راضية . وجهز نفسه وذهب الى مكان في الليلة التالية حدده له الامير .

وكان الجهل في تلك الايام يخيم على الافكار وكانت الحياقة (السرقة) شبه غزو بين هؤلاء - وامر الامير ذلك الراعي اليتيم ان يحوف بالليل يريد تعريضه للقتل وسارا معاً ، ولما اصبح الصبح قال الامير : ارق القارة امام وراقب المكان حتى لا يفاجئنا احـــــد اريد ان اسوي لنا قرصاً ثم دعاه وقال : لقد سويت قرصين صغيرين ودعوتك ولم تسمعني فأكلتها فقال الولد : عليك بالعافيه . .

وفي الطريق كرر الامير ذلك حتى وصلا العرب المقصودين للحياقة والولد لم يذق طعاما قط ، وعنـــــدال قال له الامير . تجلس عند ناقتي ، وان تأخرت عليك فاهرب لأني اكون قد قتلت . فقال الولد : لا سأذهب انا وصادف من حسن حظه انه لما اقترب صارت الابل تقف ووصل القعدة فجرها فتبعتها باقي الابل في هدوء ، ولئن كان ذلك في نظر الانسانية جريمة الا ان نجاة الولد يدخل فيه بره بأمه ، ولأنه كان سليم النية مع الامير الذي كان يحيك له .

عجب الامير من مهارة ذلك الشـــاب وشجاعته وصبره على الجوع وثبات الجاش ، فلما اقتربوا من حيهم قال الامـــــير : الابل بالنصف فرفض الشاب ولما ارادا ان يفترقا قال له الامير انا اعلم انك لا حاجة لك بالابل لان والدتك غنية وجهز الامير الاقراص للطعام وقال تعال للأكل لقد امتحنتك في السابق وها نذا عرفت كل معالم الشجاعة فيك وسيكون زفافك على ابنة عمي التي اختارتك بعد ليلتـــــين ، وفعلاً اعلن الامير ذلك وتم زفافـــــه لمحبوبته . . ان الزواج لا يخضع لعـــــادة او عرف وانما تحكمه القسمة ... والنصيب .

* * *

((تنـازل عن بنت عمـــه لعشيقهـا))

انها قصة شاب مع ابنة امير احبها وبادلته الحب ، ومسرح هذه القصة البـــادية حيث القتال والسلام كأنه تراث اجتماعي .

في سنة جدب وقحط رحـــل بنو الجنوب وسكنوا في الشمال حيث شمر وعنزه ، حيث الاخلاق الكريمة

وحصل تآلف بين ابن كبير الجنوب وابنـــة لرجل من اهل الشمال وكانت تجمعهما مراعي الابل والغـــنم ، لكن قد اوشكت مدة الربيـع على الانتهاء ويترتب على ذلك عودة الجنوبيين الى ديارهم .

بدأ الهم يحل في حياة الاثنين فأبدى الولد اسفه للفراق وعبر عن حبه للبنت التي قالت له بأنها ستكون لابن عمها ، امري لله ، فقال لها ساعديني ، فجعلت تأمل حولاً كاملاً ولكن ليس من حل الا ان تطلب الى ابن عمها ان يتنازل عنها ، وذلك امر صعب اذ كيف السبيل اليه ؟

افترق الاثنان وكل منهما يعيش في قلب صاحبه ، ولاحظ والد الولد اعتلال صحته ، فسأله : ماذا بك يا بني ؟ قال : الذي ما له دواء الا الوصال وعرف ابوه القصة وقال : لعلهـــا ليس لها ابن عم ، فأخبره ابنه بأن لها ثم قال ان لم انلها فستكون حياتي في خطر فقال له : يا بني لا تتعلق بالهواء ، اختر واحدة من بناتنا ولك ما تريد ولما علم ان لا جـدوى اجاب الاب ابنه على طلبه ببندقية وناقة وصمم الولد على العودة الى الشمال .

ووصل الابن في ليـــــلة زفافها وقد استضافه ابن عمها واكرمه ولما حاول ان يرحل طلب اليه ان يحضر الفرح وكان قد علم بحبه لابنة عمه وهي التي اخبرته فقال لها : لو حضر لتنازلت له ، فأخذ الولد الربابة واباح بسره عليها ، يقول الحكيم :

قـــلوب العاشقين لها عيون

ترى ما لا يراه النــــــاظرونا

واجنحة تطـــــير بغير ريش

يسيرها مليك العالمينـــــــــا

فماذا كان من ابن الجنوب ؟ كان عنده أخت لاتقل عن حبيبته جمالاً ورقة، فكانت هدية لابن عمها .

حيث من اعتذر الشمالي للجنوبي بقوله ونحن مشغولون في زفافي الليلة على ابنة عمي وعرف الشمالي أن ضيفه عشيقها فتنازل له وأدخله عليها شارطاً عليه الجنوبي أن يقدم له اخته التي لا تقل جمــــــالاً وأخلاقاً وهكذا تم الأمر المطلوب للجميع .

= = =

« كيف تعمل الغيرة والحسد »

فلاح يعيش حياة التقشف ، حسن النيـــــة ، فلاحته جيدة لأنه دائب العمل فيها .

زوج هذا الفلاح أكبر أبنائه مبكراً بعد موت أمه من فتـــاة ذات أخلاق وجمال . وقد تزوج الوالد بعد وفاة أم الولد من شابة أقل في العمر من عمر الرجل .

وكانت زوجة الأب تغار من حياة الابن وزوجته فأشارت على الأب أن يشتري لابنه إبلاً ويسافر بها للتجارة حتى لا تراه هكذا سعيداً مع زوجه فتذكر الرجل أنه لا يستطيع أن يقوم بالفلاحة وحده ، لكنها عرضت أن تقوم بعمله حتى يتعلم الرجولة ويدر عليهم الربح الوفير .

وتحت إلحاح زوجته نفـــذ الرجل رأيها ، وبعد ان جهزه للسفر قال له احد الخلصاء ان هذا امر شاق على ابنك الصغير على هذه المهنة .

سافر الولد مع الركب الذين اصابوا خيراً كثيراً ، وبينا صديق ابيـــه داخل عليه إذ هو يبكي فسأله : هل ضامك احد ؟ هل اهانك احد ؟ نحن في نعمة والحمد لله ، فعرف ان الولد قد جعل بينـــه وبين ما يشتهيه غيرة وحسداً .

تأثر صديق ابيه من بكائه ، وقال لقـــد آلمتني ، وكان هذا الصديق اسمه علي فقال :

بلى يا علي من حال دونه دباديت
دوية ما فيها للغيد ذايرة امنات

مهاد منساها ما بهـــا علامات
تسير الجوازى فيه انبوب البنات

عن الذيب والقنـــاص يرعن طربات
يقطفن ثمارها والزهر مقفيات مقبلات

شغوب لعوب شمعة در البنـــات
تأخذ على يطردون الهـــوى شات

لقلت هات حاجتي دنت بلتفـــات
كساه من اشقر الرأس صفـــات

ثم حدث ان ساعده ، وصفوا تجارتهم وعادوا ليلقى الابن زوجته التي حرمه منها غيرة زوج ابيه ، وحسدها ، والحسد كالحقد يأكل القلوب كما تأكل النار الحطب .

الفصل الثالث :

« حملوا كسيرهم عشرات الأيام على أكتافهم »

قصة جماعة ممن كانوا يجوبون الصحارى للمغنم والسلب ايام الازمات الغابرة ، فوق ما كان من الجهل والفوضى .

ونحن الآن والحمد لله في ظل حكومتنا الرشيدة ادام الله عزهـــــا ننعم بالامن والاستقرار والعلم والرخاء .

هاجمت هذه الجماعة عرباً يريدون ابلها فردوهم على اعقابهم خاسرين وكسروا اثناء معركتهم ساق واحد منهم فصنعوا له سرايرا من عيدان الطلح وحملوه عليه وقد استمر حملهم له اكثر من عشرة ايام ، وهذا جزاء المعتدين . « إن الله لا يظلم الناس شيئاً ولكن الناس انفسهم يظلمون » (صدق الله العظيم)

★ ★ ★

«(بن رخيص ووفاؤه مع رفيقـــه)»

جماعة من اهل القصيم كانوا عائدين من الحج ، فلما وصلوا الى المكان المسمى بركبه . . وهناك صحراء واسعة خالية من المـــاء ، خطرة . . هوجموا من قطاع الطرق سارقي الحجيج ، لكن الله وقف بجانب حجيجه وانتصروا على هؤلاء اللصوص وقد اصابوا رجـــل احدهم فكسرت وكان الوقت صيفاً ، فاضطر احدهم للبقاء مع المكسور محافظة على ساقه لأنه صعب عليه ان يركب الناقة ، وقد رزقهما الله بمن اعطاهما الطعام والماء من اهالي ركبـة المجاورين .

وعندما جـــبرت ساقه واراد صاحبه وداعه ، فقال احد الجالسين ان ابن رخيص يوصي لامه بأبيات تبين اسباب تخلفه :

قل هيـــــه يا شايبات[1] الحاقيب
اقفن من عندي جداد[2] الاثارى
اقفن مع الرخصة[3] مثل ما يعرف الذيب
وان طالع الشاوي بليل غبارى
لكن لسب اذيالهـــــــن[4] بالعراقيب
رقاصة تنبغى بزينة تمـــــارى
قـــــل خوينا ما تتركه بالمعاطيب
ولا يشتكي منـا دروب العزارى
يا بن رخيص كب عنا الزواريب
عصارنا يا بن رخيص عـوارى[5]
لازم تجيبك امي بكيدة لواهيب
تبكي ومن كثر البكا ما تدارى
تقول انشدك باللي يعلم السر والغيب
وين ابنـــــه اللي لك خوى مبارى
قل له ابنك جلس بعاليات المراقيب
في قفـره ما حوله الا الحبـارى
بقنا خويه لين سيبدى له الطيب
والا يجرى عليه من المقادير جارى

وبقى معه حتى جـــبر كسره واستطاع ركوب ناقته ، وعاد الى اهله ضارباً المثل في الوفاء والصـــبر .

---

(١) الشايبات = الابـل
(٢) جـداد = رحـــل
(٣) الرخصة = الطريق السمح
(٤) اذيـال = نـــوق
(٥) عوارى = عـريه

قتـل ابنــــه وفـاء لحرمة الجوار

أميران جاران كل يرأس فريقاً من العرب ، وكانا صديقين ولكل منهما ابن فارس يرأس جماعة يجوبون الصحراء للغارة والسلب والنهب .

كان احد الولدين حظيظاً ، يدور الدورة ويعود محملاً بالغنـــــــــائم والآخر سيء الحظ يعود مفلساً . أوغر ذلك صدر المفلس على ابن جارهم فقتله على حين غرة ، فهدمت والدته بيتها على عادة البدو عند المصيبة .

سأل الأمير : لما ذا هدمت فلانة بيتها ؟ قالوا : ان ابنك قتل ابنها قال : سوف تهدم والدته هو الآخر بيتها ، فلما حضر ابنـه قتـــــــله فهدمت أمـه بيتها فـداءً وفاء للجار .

« الباب السادس »

(فيـــــه أربعة فصــــول)

(من الاذكياء . . . شن . . . وطبقة . . . صدفات خير من مواعيد)

الفصل الاول :

قصة اهـــتم بها الكتاب وصارت مضروب الأمثال . . .

كان شن من أذكياء الرجال ، أراد الزواج ورغب في قرينة يسعد بها ، فلم يدرك مآربه في بلده ، فسافر إلى بلدة مجاورة عله يصادف فيها من يريد .

وفي الطريق التقى شن بجمال ممن يتنقلون بين البلاد . فسأل الجمال : الى أين ؟ قال : الى بلدة كذا وكانت هي البلد التي يريدها شن .

قال شن أتريد ان تحملني او احملك ؟ يمتحن ذكاءه ، قال : يا هـــذا تحملنا دوابنا . فلم يرد عليه شن . فمروا بمزارع يبذر زرعه ؟ فقال شن للجمال : اترى هذا الزارع آكلا زرعه ؟ قال : انك جاهل ، كيف يأكل منه وهو مبذور الان فلم يرد عليه شن . فلما وصلوا البلدة قابلتهم جنازة محمولة للمقبرة قال : اترى هذا المحمول حياً او ميتاً ؟ قال : هـذه اعظم واطم ، انه ميت ، فلم يرد عليه شن .

فلما ارادا ان يفترقا قال الجمال : انت ضيفي فقبل شن كارهاً لحاجته ان يضيفه ولأمر آخر يريده الله سبحانه وتعالى . . ثم قال له تجـــدني بأعلى مكان في بلدتكم ثم افترقا .

وصل الجمال بيته واخبر اهله انه صادف ضيف احمـــق فصادقه واضطر لاستضافته .

وكان للجمال بنت ناضجة وهبها الله عقلاً ذكياً : قالت البنت لأبيها

ما دليلك على حمقـــه ؟ قال : سألني اتحملني ام احملك وسألني عن فلاح يبذر زرعه هل هو آكل منه ، واخـــيرا رأينا ميتاً محمولاً فسألني أميت هو أم حي . . . واخيراً يقول تجدني بأعلى مكان في بلدتكم ، اين اجده بين هذه الجبال والتلال ؟ قالت يا ابت ارجو الا تكون قد اسأت اليه إنه من عظماء الرجال ، اذهب إلى الجامع الكبير القريب من بيتنا فستجده وسأفسر لك البقية . . . وفعلاً ذهب الجمال والد الفتاة إلى المسجد فوجد ضيفه ينتظره وذهبا سوياً للبيت .

قالت الفتاة هاك يا ابي تفسير الباقي : قوله تحملني او احملك يعني هل تحدثني ام احدثك . وصاحب الزرع كان قد استدان الحبوب والنواضح والنفقات فهو قد اكله . واما الميت فقد خلف ولداً فهو حي بعد موته ، واعلى الاماكن المساجد قال تعالى : « وإذ يرفع ابراهيم القواعد من البيت وإسماعيل » . . . وقال جل ذكره : « في بيوت أذن الله ان ترفع ويذكر فيها اسمه » . . .

فسأل شن : من هذه ؟ قال : ابنتي ، قال : إني خاطبهـــا . قال : زوجتك إياها ثم سأل عن اسمها قال : طبقة فراحت مثلاً ، وافق شن طبقة يضرب لشيئين كمل احدهما الاخر .

★ ★ ★

« ذكاء مالك بن بركات الشريف »

هرم بركات ذلك البطل المشهور والفارس المغوار فكان آخر ابنائه مالك وفي يوم اقيم فيه سباق للخيل خرج بركات وسانداه عبدان ليرقى المنصة ، وإذا بابنه مالك يركب على حائط ليتفرج على الفرسان وتخيل انه راكباً فرساً وزاد حماسه فرآه ابوه فأمل فيه خيراً لاسترجاع مكة من ابن عمه الذي اغتصبها من اخي بركات .

انزل العبدان مالكاً من على الجدار واجلساه بجانب والده الذي القى عليه قصيدة مطلعها :

يا مالك اسمع جا تبي يوم اوصيك
داعك صغير اقدر أمرك ونهاك

ترى مكة غدا بهـــــا ابن اخيك
لو تطلبه خمسة دنانير ما عطاك

رد عليه مالك مع صغر سنه :

من اول يا ذيب تغرس بيـــاديك
واليوم جا ذيب عن الفرس علاك

مير يا زيب اللي جاك الغنم في مفاليك
اكنس عن الرعايا خــــــلة تعداك

ثم جهزه والده بعدد من المقربين ومضوا لأخذ الثأر وعلى حداثة سنه دخل مكة بصفة زائر وليسلم على ابن عمه .

وبينا امير مكة ابن عمه خارجاً للقنص مع جماعته اذ به يلتقي بمالك وصحبه فعزم عليهم بمرافقتهم للقنص والانس بهم ، لكن مالك صوب سهمه نحو صدر ابن عمه فخرج منه الى الفرس فأرداهما ، قال : خنت يا مالك ؟ قال مالك انت الذي بدأ الخيانة ، وقد حاول صحب القتيـــل الانتقام لكن كان هناك من نصحهم بأن لا دخل لهم ، هنا ثار بينهم .

= = =

الفصل الثاني :

«(فراســة ... ودهــاء)»

في مدينة بريدة أمير الفن وزعيمه عبد الكريم العثان الملقب بقنى من قبيلة شمر ، يعتبر آية في الفراسة ومأتحفك ابها القارىء العزيز بنوادر تنطق بفراسته ..

لا يستعان به في سرقة إلا واحضر المسروق دون أن يخبر بالسارق .

وهاك واحدة من قصصه :

بينما كان خارجاً هو وصاحب له لقسمة نخــــل اشترياه من الصباخ من ضواحي بريدة ، إذ قابلهما جمال والجمل وسيلة النقل المعروفة آنئــذ فقال لصاحبه : اقسم النخل وأنا ساعود اليك فسأله صديقه ماذا حصل ؟ قال أترى ذلك الجمال ؟ قال نعم . قال ستعرف الباقي ..

أسرع عبد الكريم للجمال وأشار عليه لتعبــــه أن يستريح عنده ويشرب القهوة فرفض هذا فألح عليه وكان بيتــه قريباً من مدخل بريدة وما ان أخذ راحته حتى قال له : ما حملك على السرقة ؟ قال حملني الشره والشيطان ، استرني يسترك الله . قال لمن هي ؟ قال : للتاجر فلان في مدينة عنـــيزه . وبينما المدينة في هرج ومرج إذ برسول يأتي الأهالي يأمرهم بالتوجه لاستلام ما سرق منهم من عند التاجر .

وحضر أصحاب السرقة وتسلموها شاكرين لعبد الكريم جميل صنعه وأرادوا مكافآته فرفض ثم طلبوا اليـــه أن يعلمهم من السارق وتعهدوا الا يمسوه بسوء فرفض أيضاً قائلاً ان الانسان لا يصح أن يأخــــذ مقابل الاحسان .

= = =

[وله في موضوع سرقة أخرى]

كانت تجارة الابل سائدة في القديم ، يذهب التجار الى مصر والشام وحدث أن محمد العبد الله البسام كان معه ما يزيد على العشرة آلاف بعير وكان معه حملة من الرجال تزيد على الثمانين بطعامهم ومائهم كتاب وموظفين والطرق غير آمنة وكان يفرض على التجار في هذه الطرق الضرائب والأتاوات من القبائل التي يمرون بها لحمايتهم .

وكان واحد من الركب قد جمع أمواله في كر حول وسطه وسرق المسكين وكان يقول كلما تذكر أهله :

وبي من الأشواق ما لو شرحته
للناس قالوا قد عراه جنون

كان يستعد للسفر لأهله وعياله فلما سرق جمع له اصحابه ما اعانه على السفر ولما وصل الى بريدة اتصل بعبد الكريم فقال له : اذكر لي كل اصحابك الذين كانوا معك في الشام ولما وصلوا جعل يصل بهم واحداً بعد الآخر حتى تذمر اثنان من اسئلته فوعدهما للقاءة عند دكانه بعد صلاة المغرب .

لكن عبد الكريم بعد ان صلى في المسجد دخل الدكان وأمر ابنه صالحا ان يغلق عليه الدكان بالمفتاح ثم حضر الاثنان ووجدا الدكان مغلقا فوقفا يسأل احدهما الآخر : ما ذا يريد منا هذا الداهية ؟

فقال الثاني : يبدو انه من شأن الكر ثم قال الاخر : لا تخزنا تراه داهية ويأتينا من كل الطرق وهو داخل الدكان يسمعها فمد بيده المفتاح لهما ليفتحا الدكان ولم يسمعها الا التسليم والاعتراف .

أليس هذا داهية تتحدث عنه الركبان ؟ اتقوا فراسة المؤمن فانه ينظر بعين الله . « حديث شريف »
بنور الله

«(وله مع العسكري القاتل)»

ايام كان الصراع بين ابن سعـــود وابن رشيد ، كان الأتراك يمدون ابن رشيد بجنود وسلاح ، ومن سلم من المعارك هام على وجهه في الصحراء

وكان من هؤلاء الجنود جندي اسمه مصطفى استقر في بريدة وتعامل مع احد البقالين فيها حتى صار عليه دين قيمته ريالان ، وكلما طالب البقال هذا العسكري امهله .

ولما ضاق العسكري بطلب البقال وعده ان يأتيه البيت في الصباح فهناك فوق الريالين القهوة . ودخل البقال آمناً واذا بهذا العسكري الخائن وقد جهز حاله وبموس من امواس الحلاق نحر البقـــال ثم ارغم زوجته على ان تعاونه على تقطيعه ووضعه أوصالاً في تنور .

استمر البحث عن البقال دون جدوى فاستعان الامير بعبدالكريم العثمان وكان يسمى (قنى) فأشار على الامير بأن يطلق رصاصتين في الهــــواء على مقربة من بيت العسكري ، فسأل الامير ، لماذا ؟ فقال القنى ستعرف فيا بعـــــد .

بعد الطلقتين طرق باب العسكري المقبوض عليه بتهمة أنه قتل البقال إنما اختفى من عنده لأن النـاس رأوه آخر مرة وهو داخل بيتـــــه ، فتحت المراة فسألها الامير اين البقال ؟ قالت لا علم لي فقال : اما سمعت اطلاق الرصاص ؟ قالت بلى . قال لقد قتلوه . . قالت من ؟ قال زوجك مصطفى قالت اذا كان ذلك فهاكم القتيل في التنور . . وحكم على مصطفى فقتله اقارب القتيل .

★ ★ ★

[امرأة تصلي ولها قصد آخر]

ومن قصصه رحمه الله مع امرأة ، وجدها تصلي في غابة من الأثل ، ولما سلمت كانت تبكي وتتألم ، لكنه وجد في عينيها كلاما آخر فقال لها : عجيب أمرك ولم الصلاة بين اشجار الاثل هذه والتي تصنع ساترا بينك وبين الناس ؟ أليس لك مارب آخر في اختيار هذا المكان للصلاة بالذات ؟ قالت لا . .

أطال الجلوس عندها حتى أتاها من تنتظره ، فأدبها ، واخذ عليها عهدا الا يعودا ثانية . . .

= = =

((رجل في زي امرأة))

ومن نوادره رحمه الله أنه مر به وكان يجلس عند أحد وجهاء بريدة ابراهيم العلي الرشودي إذ مر عليهما رجل عرفه أنه يلبس زي المرأة ، فقال له الرشودي بعد أن فهم منه ما راح اليه من الشك : أنت مخطيء في حق هذه المرأة المسكينة ، ولماذا ؟

قام عبد الكريم بدوره وأوقفها ، وكشف عنها فاذا هي رجل ، يبيت أمر . فشهد له الرشودي وقال له : إن من يعترض عليك ظالم لك ، أثابك الله وغير هذا كثير وكثير لعبد الكريم المثال من ألوان الفراسة ، وقد كان خصومه يرمونه بالشعوذة والكهانة وهو منها بريء .

إنها الفراسة ، والفراسة كما يقول الحديث عين الله سبحانه وتعالى ينظر بها المؤمن .

* * *

الفصل الثالث :

فراسة أمـــير من أشراف مكة

هذه قصـــــة لواحد من أولئك الهنود الذين يحجون كل عـــــام ، خشي هذا الحاج على ما معه من أموال فأودعها كره ، واختار شيخاً جليلاً فوضعه أمانة عنده حتى ينتهي الحج فيشتري هداياه وقد غره في الشيخ حسن منظره ومظاهره التي تدل على تقواه .. ، وكم تخدع المظاهر وتغر

ولما انتهى الحج وذهب الهندي الى هذا الشيخ يطلب أمانته ، أنكره ولم يعترف له بشيء فشكاه للأمير الذي أرسل في طلبـــه وقال مالك عليه الا اليمـــــين .

ثم قال الامير للشــــاكي : صف لي دكانه فوصفه له ثم قال له إجلس قريباً منه وفي طريقي للحرم سأمر عليك .

وبعد العصر قرب الغروب مر الامير وأمام دكان هذا التاجر الذي ينكر الامانة نزل وسلم عليه أي على الحاج الهندي الذي كان يجلس على عتبة دكان مقابل لدكان التاجر ، فتعجب التاجر الشيخ كيف يعرف هذا الحاج الأمير وناداه قائلاً : صف لي كرك ان عندي ودائع كثيرة ، فوصفه له ، فسلمـــــه إياه .

خاف الرجــــــل من بطش الامير ، لكن دهاء الامير وفراسته كانتا فوق نكرانه . . . ثم كان له بعد ذلك جزاؤه القاسي .

« ان الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات الى أهلها »

(صدق الله العظيم)

★ ★ ★

فراسة أمـــير من أمرائنا

حدث حادث سرقة بالمدينة المنورة ، وكان أميرها ممن وهبهم الله القوة والمهابة ونصرة الحق . ولما لم يجد البحث عن السارق أمر بجمع كل المشبوهين واستجوبهم واحداً بعد الآخر .

ولما لم يهتد الى الســــارق قال لهم : ان لدينا عوداً في مكان كلنا من لمسه وهو مجرم أمسك به ، ومن كان بريئاً تركه .

ثم أمر أحد خدمه بصبغ العمود وأن يجلس بمكان خفي يراقب المتهمين وأمر المتهمين أن يلمسوا العمود ثم يعودون وبعد لمس العمود سيقوا جميعاً للأمير فعرف السارق من بينهم لأنه هو الوحيـــــد الذي خاف أن يلمس العمود فيمسكه . . أما كيف عرفه الامير فلأن يده الوحيدة التي ليس عليها آثار للبوية (للطلاء) التي دهن به العمود . فألقى القبض عليه ونال جزاءه بعد أخذ المسروق منه .

« ولنفس الأمـــير مع درويش »

دخل عليه مرة حاجاً من حجاج الهند ، وطلب مساعدة بدعوى أنه فقير وابن سبيل فأمره الامير أن يخلع نعليه ، وأمر أحد رجاله أن يخرج من ثناياهما ما فيهما من دراهم .

تناول الامير الدراهم فأعطاه منها ما يكفي نفقات الحج وأبقى الباقي عنده وقال له : عند عودتك لبلدك تعال خذ ما بقى لك .

سأل الحاضرون الامير ، كيف عرفت هذا ؟ قال : انه كان وهو يسالني انما ينظر لنعليه وقد رأيت أنهما من اطار سيارة فعرفت أنه يخبي فيهما شيئاً ، خصوصاً وأنه ما خلعهما عند الباب كالعادة .

«(فراسة الأمير محمد بن رشيد)»

حكم ابن رشيد نجـــداً وكانت أيامه أيام ربيع وخصب وتجارة وبينا كان موكبه يمر بأحد الشوارع سمعت الحاشية المرافقة شيخاً قارب المائة عام من عمره يسب الامير ، فأشار عليه أحد رجاله بقتله أو قطع لسانه..

أرسل الامير لهذا الشيخ خفية نقوداً وخلعــــا وانتظر وبعد أيام مر الموكب بنفس الشارع الذي فيه الشيخ ، وما أن رأى الشيخ الموكب حتى وقف وحيا الامير ودعا له .

تعجب الوزير الذي أشار على الامير بقطع لسان الشيخ ثم قال للأمير ما ذا عملت ؟ قال سمعت مشورتك فقطعت لسانه .

وفي يوم من الايام امر الشيخ اقاربه وابناءه واحفاده باقامة مهرجان على ظهور الخيل تكريماً للأمير وعلى رأسهم ذلك الشيخ فسأل أحد رجال الامير : وما قيمة هذا ؟ فقال الامير لو اني أطعت القول بقتل هذا الشيخ لكان كل أولئك الذين ترونهم ضـــــدي ، وساروا حرباً على . . .
« إن في ذلك لعبرة لأولي الألباب » صدق الله العظيم .

- - -

الفصل الرابع :

« من ذكـاء المفتشـــين »

كان الذهب في الماضي يمنـــع خروجه ، وكان المهربون يتحايلون او يحتالون على الخروج به ولهم في ذلك وسائل كثيرة .

وحدث ان رجلاً اخفى ذهباً في تنكة تمر ، وضع الذهب في اسفلها ثم كلها تمراً وجعل من تمرها زاده في الطريق .

ولما اقترب من الحدود وقف أمام نقطة للتفتيش وكان بها مفتش ذكي اتهم لذكائه بالكهانة لأنه كان يعرف كل حالات التهريب وهناك قال للمفتش بعد أن نظر الى ما معه : هذا تمر جيد ، وقد أحضرت لك منه تنكة كاملة فهي لك أما البقية هذه فتكفيني باقي الطريق .

لكن المفتش شكره وقال هذه الملأى كثيرة على ، وساكتفي بالجزء اليسير في هذه التنكة المفتوحة وكان الذهب فيها على مسافة سنتيترات من التمر ، ولما وجد المهرب اصرار المفتش على رأيه صارحه بالامر وكان ما كان . . . .

= = =

((وللمفتش نفسه مع صاحب الهاون))

وحدث ان مهربا حفر النجر (الهاون) وكان من الخشب آنئذ ووضع في قاعه ذهبا غطاه وصار يستعمل النجر لطحن القهوة في الطريق كالعادة . .

بحث المفتش امتعته ولم يترك شيئاً الا فتشه فلم يجد شيئا وهو يعلم ان معه ذهبا . .

اخيراً هداه تفكيره الى الهاون فحمله وقال : انا معجب بهذا الهاون لثقله ، اعتبره هديتك ، فثقله وسمك خشبه اطمعاني فيه ، وهنا اسقط في يد الرجل واضطر ان يعترف للمفتش واخبره ان الذهب لعدد من الرجال والنساء على طريق المضاربة ، وتوسل اليه فأخلى سبيلهم .

= = =

«(مع صاحب السندان)»

في احد الموانى البحرية نزل احـــد الركاب وكان يحمل معه سنداناً وهو ما يطرق عليه الحديد المحمى في النار ليتم تشكيله ، لفت نظر المفتش لماذا السندان مع هذا الراكب ولا يبدو عليه انه حداد، فضاعف قيمة الجمارك وكلما زاد المفتش قيمة الجمرك رضى الراكب .

شك المفتش في الامـــر وخاصة بعد ان رفع الجمرك لمبلغ لا يمكن ان يرضى معه صاحبه الا ان يتركه ، فبحث السندان جيداً فوجد بداخله مطبعة لطبع اوراق النقد ، ما كذب علماء الجريمة حين قالوا : ان المجرم يتصف بالذكاء ولكن فوق كل ذكي . . ذكي .

★ ★ ★

«(فراسة أعرابي وذكاؤه)»

طمع امير في توسعة امارته فغزا اقليماً مجاوراً ، وبعد ان تم له النصر ترك عليه من ائتمنه من رجاله ، لكن هذا الرجل خان الامانة واستولى على الاقليم الجديد وارسل للأمير يخبره بذلك وان النـــاس هناك بايعوه على ذلك .

وذات يوم خرج مشتت الفكر يتمشى وهبط وادياً رأى فيه شيخاً معه قطيع من الغنم ، ولما نس اليه استنصحه بعد أن اعلمه انه واحد من رفقاء الامير ، وقال له إن رجع الامير لمن خانه فاصحبه فانه سوف ينتصر لأن من خان الامانة مهزوم .

شكر الامير الشيخ ورجع ولما وصل جيشه اعلن النفير ، ولما علم صاحبنا الذي خان ان الدائرة عليه ، وعرف بمقدم الامير هرب وترك البلاد فدخلها الامير دون مقاومة . . .

وهكذا كما يقولون : على الباغي تدور الدوائر .

★ ★ ★

[قائد جيش مع أحـــد جنوده]

حاصر جيش أحد السلاطين في قـــديم الزمان مدينة لمـــــدة سنين ولكن المدينة استعصت عليه ، حتى سئم الجيش ، وتذمر رجاله ، وباتوا على وشك التفكك .

وكانت المدن قديماً تحاط بأسوار متينة وعالية . وكان قائد جيش السلطان حائراً في أمره وبينما هو يســـر إذ بجماعة من جنده يتحدثون ويقول قائلهم : لو أن ما معنا من حديد ونحاس جعل مدفعاً ، وما لدينا من ذخيرة جعل قنبلة نضربها فاما دخلنا وإلا رجعنا وكفانا حصاراً .

استجاب القائد للفكرة وضربت المدينة ضربة واحدة فتحت فيها شارعاً ، وسلمت المدينة بناسها وسمى هذا المدفع مدفع الفتح .

إن الحروب ليست كلها شرا فالاختراعات والادوية والعمليـــات الجراحية ، ووسائل الوقاية كلها مدينة في اختراعها للحروب .

= = =

طرفه ...

اتهم شخص لذكائه بالشعوذة والسحر حتى رشحته الاشاعات أنه يطير من بلد لآخر .

دخل عليه يوماً رجلان ، فرحب بهما ثم سألهما : ما حاجتكما ؟ قالا : اننا نعلم أنك تطير من بلد لبلد ، ولنا في بلدة كذا عازة نريدها .

سكت الرجل قليلاً ثم قال : على الرحب والسعة ، وأمركما مطاع وحاجتكما مقضية ان شاء الله ثم أحضر مهراسين كبيرين وحبلين غليظين وراح يربط كل واحد في مهراس ، سألاه ما هذا ؟ قال : ذلك خوفاً من العواصف التي تصادفنا في الطريق .

وما أن أحكم وثاقهما حتى أتى بعصاة غليظة وجعل يضربهما وصراخهما يملأ المكان حتى أغمى عليهما ، ففكهما ثم ألقى بهما في الشارع العام .

أي جهل ركب في عقلى هذين الرجلين ؟ .

« البـــاب السابـــع »

[الحيـــله والحيـــــــل]

الحيلة قسمان : قسم مباح ، طريف ، بريء وهـــو ما سأحاول أن أعرض صورا منه لاتحاف القارىء الكريم .

والحيلة الرئيسية فيها نفسع ودرس والحيـــاة دروس . . .
والقسم الثاني يتناول حيل المكر والخديعة والظـــلم أعاذنا الله منه وهدانا ســـواء السبيل .

« بـــين رجـل وزوجتــه »

حكى زوج هذه القصة فقال : رزقت بزوجة على قسط وافر من الجمال وداخلني الشك الشك في مبادلتها الحب لأنني دمــــيم الخلقة ، وبينا نحن على مائدة العشاء ، تظاهرت بالمرض ، وتصنعت الرعشة ، ولعثمة اللسان كن هو على شفا الموت ، وقلت لها إن منيتي اقتربت ، كل ما أملك فهو لك وسامحيني فيما بدر مني .

انزعجت المرأة وصاحت وأظهرت حزنا وجزعا ، فعرفت صدقها وإخلاصها ، ثم عـــدت سريعاً لطبيعتي خوفا عليهـــا وأخبرتها أنني إنما أمتحن حبهـــا لي .

فاستردت أنفاسها قائلـــة : كيف تذهب ظنونك ؟ أنت زوجي وقد رغبت فيك ولا أفضل أحدا عليك ابدا ، ما أحلاه الرضا بالمقسوم ، إنه السعادة بعينهـــا .

= = =

[الجنون ... فنون]

ارتكب أحد الأفراد خطأ جسيما ، قرر أميره عقابه عليه بما يستحق وكان العقاب شديداً ، فحين خوف النتيجة .

ذهب هذا الخطىء إلى وجهاء البلد راجياً منهم أن يشفعوا له عند الامير لينجو من العقاب الذي ربما يكون القتل ، فلم يجد منهم آذاناً صاغية .

علم هذا المذنب أن الامير مدعو الليلة عند فلان وقد تجمع هناك عليه أهل البلد فذهب اليهم وقال لهم : رفضتم ان تشفعوا لي عند الامير والآن اطلب منكم مالا يكلفكم شيئاً ، بعد ان يحضر الامير بقليل سأدخل عليكم ولست أطلب منكم إلا ان تقفوا لي جميعاً إظهاراً لاحترامي ففعلوا .

فلما رأى الامير ذلك قال : قد شفع لك ما لدى الناس من حب وتقدير ، وانني اشهدهم انني عفوت عنك ونصحه الوجهاء بالامتثال لأوامر الامير .

★ ★ ★

حيلة طريفة

في إحدى المدن الساحلية مر شيخ متهدم رث الثياب بفتاة جميلة في ريعان شبابها ، فسال لعاب الشيخ وانقض على الفتاة يعطرها تقبيلاً حتى كاد يدمي وجنتيها وهي تحاول دفعه مدعياً انه خالها .

شكاه اهلها لأمير المدينة وشهد عليه الذين خلصوها منه ، وحضر الشيخ وهو يعرف ان عقاباً اقله الجلد ينتظره ، فادعى الجهل والعبط وضعف العقل والبله حين سأله الامير لم فعلت فعلتك الشنعاء ، وكان يجاوب إجابات بعيدة عن الموضوع مظهراً التأفأة والتهتهة

حتى كسب الموقف وخـــلى الامير سبيله على انه معـــتوه مريض وليس على المريض حرج ، فخرج من ورطته بحيلته .

= = =

«(محتـال يلعب على محتـال)»

ولد وابوه مشهوران بخفة الدم ، والظرف ، والطرافة ، فيها سجية انها يروحان القلوب فتنشط ، الم يقل الرسول الكريم صلوات الله عليه : روحوا القلوب ساعة بعد ساعة فان القلوب إذا كلت عميت . .

عبد الله الناصر السيف من احدى عوائل القصيم ، اسرة كل افرادها طلبة عـلم . .

ذهب عبد الله للكويت ليعمل في غوص البحر وهو عمــل شاق طلب الابن من ابيه ان يشتري لهم سمكاً وادعى ان الاوقية قيمتها ٤٤ بيزة فذهب الرجل الى السوق ووزن له البائع اوقيتين ، وبينا هو يعد للرجل البيزات اسرع الولد فأخذ السمك وذهب به للبيت .

وبعد ان عـد ٨٨ بيزه طالبه البائع بدفع ٨ ليرات لأن الاوقية ثمنها ٤ ليرات واربعة واربعون بيزه ، فطـار صواب الرجل وقال للبائع إذن زن لي نصف اوقية فقط وتحسس الولد فلم يجده ، فأسرع منفعلاً نحو النار فوجد السمكات قد جهزت ولا يمكن ارجاعها ، فعاتب الاب ابنه وانبه على حيلته قائلاً : ان ثماني روبيات تضمن لك زوجة ، فكيف تصرفت هذا التصرف ؟ قال الابن : ما دمت شبعت من السمك فلست في حاجة الان للزوجة .

= = =

عنـــد ما تصدق النيـــة

يكاد الفقر يكون كفراً ، هذا رجل نزلت به ضائقة دفعته الى ان يستدين ، وكان من عادة المدين ان يقدم رهينة للدائن .

ذهب صاحب هذه الطرفة – وهو لا يملك شيئاً – لمن يقرضه الدين فقال له : اى شيء ترهنه ؟ قال : ام الغربان سأله الدائن وما ام الغربان ؟ قال : قليب (بئر) ما له مثيل . فاعطاه الرجل ما سأل . .

تيسرت الحال لصاحبنا وذهب يرد دينه للدائن شاكراً له مروءته وفي اثناء ذلك قال : اتدري – زادك الله براً – ما هى ام الغربان ؟ قال : تقول بئراً . قال : لا ، وانما هي قصيمة رمل (اشبه بتل) عالية تبيت عندها الغربان لارتفاعها ، وانما صدق نيتي على السداد هو الذي جعلك سهلت لي حاجتي ، ثم كرر شكره وانصرف .

= = =

« قصة من استدان وانكر ثم رجع للحقيقة »

ذهب معسر لواحد من أولئك الذين يفكون ضائقة الناس فيدينونهم فأعطاه ما طلب .

أعطى المدين بعض الدين لأهله ثم جهز نفسه بالباقي ليسافر طلباً للرزق ومرت سنوات دون انتكون الظروف في جانبه ولم تسر الامور على ما يرام فعاد حزيناً معسراً .

ورآه الدائن فسأله . هل أحضرت الامانة ؟ قال : أى امـــــانة ، ليس عندي لك شيء ، فأمره الدائن ان يغادر دكانه ففعـــل .

ثم سافر ثانية وفي هذه المرة ، ساعدته الظروف وكون مالاً فعاد لبلده وذهب الى الدائن وأعطاه حقه مع هدية ثمينة . .

تعجب الدائن وقال : أما أنكرت أنك لم تأخذ مني شيئاً ؟ قال نعم ، وكان ذلك لأن يدي كانت خالية وقد جئت شوقاً الى اهـــلي ثم رجعت ويسر الله لي . . قال الرجل لو أعلمتني ذلك ما احرجتك ، عفا الله عنك .

= = =

[خدعـــة طريفـــة]

قصة مضحكة مبكيـة خلاصتها ان امرأتين كانتـا تتلاعنان من فوق الاسطح ، ودخل قريب لاحداهما عليها يريد طعاماً فاعتذرت لانشغالها بملاعنة جارتها ، فقال لها لا عليك دعيني ألبس ملابسك وارقى لها انا وفعلاً رقى الى السطح ووقف امام الجارة لا يرد عليها إلا بفرك اصابعه وهي عادة تـكيد النساء .

وكان بين السطحين فناء كبير يسمى ليوان ، والمرأة الاخرى تسب وتلعن دون ان ينطق صاحبنا بكلمة واحدة مما اغاظ المرأة وافقدها صوابها ومت متناسية الفناء لتهجم على زميلتها فطاحت اسفل الدار ميتة .

عاد الرجل الى قريبته واخبرها انها ســــترتاح من جارتها الى الابد وامرها ان تزيد العشاء ليرد جوعته .

حيل تجمع بين الزين والشين

رجلان اصدقاء ، ربطت بينهما الثقة وحسن النية احدهما شجاع والآخر ذو حيلة .

سافرا معاً للبحرين لغوص البحر ، وعملا من اجل لقمة العيش في احد المنازل احدهما يرعى الناقة والثاني يصنع القهوة وتصادف ان احدهما رأى حية غير سامة فمسكها من عنقها ووضعها في مطبقة صاحبه وفيها تمر يابس . وفي ليلة مقمرة قال لصاحبه : لقد اشتقت لتمرك ، جاءه صاحبه بالمطبقة وحين كشف غطاءها حتى قفزت الحية فقفز معها قفزة صارخة أقسم صاحبه معها انه خاف عليه من الجنون ، تجاهل صاحبه الملقب حمده الموضوع وقال من اين تأتي الحية ؟ ثم ضحك فعرف انه هو الذي وضعها وسارا يضحكان ويتسابان .

= = =

((الثانية . . . ألقاه في اليم))

فاتني في القصة السابقة ان اقول لك ان هذين الظريفين هما حمد الحمد الصقعبي ، وعبد الله الناصر الملاه . يروي حمد انه كان يريد البصره والملاه حده البحرين للغوص ، فلما توسط البحرين عند طريق البصره وهي ميناء على الخليج ، قام الملاه يقضي حاجته بمكان معد خارج السفينة .

في تلك الاثناء جاء حمد بسكين وقطع الحبال التي تشد الحمام فسقط الملاه في البحر واستغاث ومنع حمد أي أحد من إغاثته ثم قال له : تقسم ان تصحبني حيث شئت ؟ اقسم له فأخرجه ثم حمله الى السفينة . . فقال له اين وجهتك ؟ قال : البصرة . .

سافر الاثنان وكانت المراكب في الماضي تستغرق وقتاً طويلاً وكان الركاب جميعاً غير عرب وكانوا يرمقونهم بنظرات حادة فصمم حمد على الانتقام منهم ونجح . وفي منتصف الليل أراد حمد ان يقضي حاجته فاذا العمال في الطابق الاوسط من المركب فاذا العمال مصطفين متلاصقين وليس عليهم الا ما يستر العورة من شدة الحر . وكان هناك فوق الغاز وعاء كبير فيه ماء يغلي فحمل حمد الوعاء وصبه على هؤلاء الأعاجم وهم نيام وفي الظلام وتعثر عليهم النزول من الدرج ثم ذهب حمد الى جوار صديقه وتناوم وجعل البوليس يحقق معهم واحداً واحداً ويقول الملاح أما نحن فلم يوجه لنا سؤال او تهمة .

= = =

« حيلة طريفة »

قصة مضحكة تدل على ان الحيلة نوع من التنفيس تفرج الكربة وتفك حبل الهم من حول عنق الانسان .

رجلان يعشبان من العشب البري وكان هناك جماعة تسمى باللغة الدارجة « الحنشل » أي قطاع الطرق واللصوص ، وكان في القديم يكثر السلب والنهب والحلال ما حل باليد .

قال احدهما لأخيه ، وكان شجاعاً بعكس ثانيهما الجبان فهما من ناحية على طرفي نقيض .

قال الشجاع للجبان : أنظر الى هؤلاء الذين يربو عددهم على العشرة ، يريدون سرقتنا فقال الجبان ان الخوف قيدني ولا استطيع مع الرعب ان اعمل شيئاً فقال الشجاع : أترانا نتركهم يأخذون أغراضنا ثم نذهب لأهلنا عراة ؟ أن الموت أهون ، واذن لا بد من الدفاع .

سكت الجبان ثم قال : أنا ما بيــــدي شيء أعمله لك فأقسم صاحبه انه ان لم يكن في جانبه يساعده ليبدأن به قبلهم قال انا اساعدك بلساني ، وبحيلتي . . اما بقوتي فليس لي الى هؤلاء قوة .

اخذ الشجاع يدافع والجبان يقبض على ذيل الحمار اللذي يركبه الشجاع وجعل يصك اسنانه دليل الغيظ على صاحبه وعليهم وهذا تظاهر منه ثم اخذ يقول : أهذا فعلك بالرجال أيها الجبـــــان ، تعال امسك الحمار وساعرفك كيف أجندلهم .

فلما سمع الجمع ذلك هربوا وفضلوا السلامة ، فشكره صاحبه وقال : حقاً قد تغلب الحيلة . . الشجاعة .

= = =

(خرج من ورطة بحيلة ظريفة)

قصة صائغ كلها انسانية وذكاء ، كان دكانه كمنتدى لوجهاء المدينة ، وقد استضاف مرة قروياً واكرمه فكرر القروى ذلك حتى ضاق به الصائغ واراد ان يتخلص منه بحيلة ظريفة ، وكان للصائغ اخت جميلة وكانت بدينة اتفق معها انه اذا كان هناك الضيف الثقيل ، تأتيه وتطلب منه المفتاح بغلظة وقسوة .

وتم ذلك فعـــــلا وكان يقول للضيف : كثيراً ما اقول لها يا أمي كل شيء عندك فلا تخرجي ولكنها تحب الرجال وبودي أن أعـــــثر على من هو كفء لها . .

عرض الصائغ على الضيف ان يزوجها اياه فقبل وتعهد الضيف باكرامها ورضاها واعلن الصائغ على الملأ انه سيزوج امه ، وامه الحقيقية انسانة هرمه

فقدت كل حواسها ، أكل عليها الدهر وشرب كما يقولون ، تجاوز عمرها القرن أو يزيد ومن الغريب أن الضيف كيف يصدق ذلك اللهم إلا أن يكون شرهه أعماه عن الحقيقة .

وفي جمع من المعارف تم العقد وكانت العروس العجوز تغط في نومها وكان من عادة الناس هنا أن يسبق الرجل الزوجة الى مخدعها ، وأسرع صاحبنا ينتظر العروس فلم تأت وأخذ يتلمس مكاناً ينام فيه حتى عثر على العجوز وكأنها حطام ، فملكه الخجل .

وفي الصباح جاءت بالقهوة أخت الرجل الشابة صاحبة البيت والتي رغب في زواجها وظنها العروس ، أسقط في يده وهرب من البلدة وعزم على ألا يعود اليها وأرسل للمرأة طلاقها . لقد وقف خجله أمام قدومه فحرم البلدة نهائياً .. وهكذا تخلص منه صاحب البيت .

— — —

«(ابليس ينتقل في كيسه)»

ضحك حمد الصقعبي من جماعة مجتمعين عند أحد التجار يزيدون على العشرين ..

دخل عليهم خائفاً يرتجف فسألوه : ما بك ؟ ما دهاك ؟ قال : أمران .. أحدهما مفزع ، والآخر مفرح . ان الشرطة ألقت القبض على ابليس وهناك العالم يتفرج عليه ، شكل مخيف ، عيناه طويلتان ، كل الغرابة فيه ، لكن بشرى القبض عليه أرحت الناس من شره ، وكانت الشرطة تنقله في كيس .

أخذ الجماعة يتسللون الى ساحة البلدية وهى تبعد أميالاً عن المكان ولم يبق إلا التـــاجر وضيف عنده يودان لو يطيران حتي يتفرجا على ابليس ، وطلب حمـــد القهوة لأنه سيذهب ليرى ابليس .

ثم قال للتـــاجر : إنما أحببت أن تقف على ضعف عقولهم . من يصــدق ان ابلس يقبض عليه ؟ قال التاجر لحمـــد : حسبك الله أضحكت منهم ؟ .

بعد ساعة وصل الجميع وكلهم خجـــل ... وما آفة الاخبار الا رواتهـــا .

« الباب الثـامن »

(فيـــــه ثلاثـة فصـــــول)

الفصل الاول :

القـروسية والشجـــاعة

يقال تقابل عنتر عبس وحاتم الطائي هذا الشجاع وذاك الكريم مرة فتقابل معها البطولة والكرم الاصيل ، ولقد ذكرت هذه العبارة لأبرز خصلتين من خصال العرب تغنى بها شعراؤهم ، ومجدها كتابهم .

ومن القصص حول هذا ما روى لي من أناس حضروا فصـــــول هذه القصص ورأوا بأعينهم مشاهدها .

في احدى غزوات محمـــــد بن رشيد ، وكان الشيوخ مجتمعين ، قال محمد بن رشيد لبرجس بن مجـــــلاد من زعماء عنزة ، وهم في سمرهم بالليل : هل هذا صحيح أن الخيل تستجيب لك ؟ قال : أيها الأمير : من عادة الناس في أحاديثهم أن يزيدوا وينقصوا ، وكان يتكلم بصوت عال ، وما أن سمعت الخيول صوته حتى فصمت ربطها وقطعت حبال الخيـام ، ولم تهدأ الا بعد أن أرجعها وينسب اليه هذا القول :

يا من خبر خيال يسوى الف خيال

برجس غدير الموت فيه الرجاجيل

* * *

«(فارس يستسلم دون مقاومة)»

أغار على عنزة قبيلة مجاورة لاداعي لذكر اسمها ، وكان رئيس الغارة شاب ملكه الغرور والجهل ، فارس وابن لفارس ، وكان الشباب يتفاخرون بالفروسية ويباهون بها امام من يعجبن بالذات وكان هذا الفارس يحب ابنة عمه ويريد اظهار مكانته امامها .

كان الشاب في مقدمة المهاجمين ، وقد حبس من أمامه عن التقـــــدم وبلغ الامر برجس الذي ركب حصانه وصال وجال وأرجع الغزاة ثم تتبعهم حتى وقع في يده أسيراً قائدهم ذاب الفارس الشاب فأمنه برجس الذي قال له : لم استسلمت هكذا ؟ فقال : ان فروسيتك معروفة ومن يقدر أن يقف في طريقك ؟

= = =

«(بطـــل يباع بثلثمائة ريال)»

قصة حكاها لي بطلها عبد الله الحمـــــد الحميد من رجالات بريدة البـــارزين .

كان يعمل كرجل بريد بين الكويت والعراق ، ينقل الرسائل والذهب يقول : اخذت بضاعة من عدد من اهل بريدة قوامها ثلاثة آلاف ريال . ووصلت حائل واشتريت بالقيمة بضائع توافق البدو وذهبت الى مضاربهم وبعت وربحت .

جمعت حقوقي ممن اشتروا وبقى لي عند الامير ستمائة ريال ، فلما طالبت بها اعطاني ثلثمائة ريال واعطاني عبدا وقال هذا بالثلثمائة الباقية .

وفي الطريق فاجأني العبـــد بقوله : ما ذا تريد مني يا عم عبد الله ؟ فقلت سأبيعك ، قال كا تباع السائمة ؟ ردني وإلا قتلتك فعدل عبد الله عن رأيه وظلا سائرين .

وفي الطريق رأيا جماعة من اللصوص وقطـاع الطرق فطلب العبـــد البندقية من عبد الله وكانت من النوع العـــثماني وبها احدى عشرة طلقة وطلب من عبد الله أن يثق به ويطمئن اليه ، فلما اقتربوا منه ومن عبد الله نزل من على الناقة وذهب اليهم ينصحهم بالابتعاد عنهما ، ولـكن العصابة طمعت فيه هودته لأنهم يحبون ان يرعى العبيد ابلهم ، وكنت اليهم واقول ضاع كل شيء الناقة والعبد وأنا .

جعل العبد ينصحهم ، ورمى طلقة أصابت هدفها ليخيفهم وكان الهدف الناقة ، وأقسم إن لم يتراجعوا ستكون الطلقات في جباههم فتراجعوا .

وفي الليل أشار العبد إلى نجم في السماء ونصح عبد الله أن يتخذه نصب عينيه ويسير ، وجعل هو يحتطب ويشعل ناراً ليوهمهم . فلما أمن مكرهم وتركوا لحق بعبد الله وأفهمه أنهم اندحروا وسلم البندقية لعمه عبد الله الذي عجب من شجاعته وسأل نفسه كيف يقدر هذا بمـــــــال ؟ سوف أرده لتـــــامه .

إن الذي باع عبد الله العبد هو أخ لعمه الذي مات وكلما تذكر ذلك ملأه الغيظ ولما جلسا ليستريحا قص العبد على عبد الله إن لعمه ابنـــــة كانت ترفض بيعه وبينما هما كذلك اذ برعاة يأتون فزعين يصرخون : أخذت الاهل فقمنا ، أنا والعبد من ورائي على حصان عمـــه الذي مات وأنزلنا بقطاع الطرق الهزيمة وعدنا بالاهل .

أعتقت الابنة العبد ومنحته ثلاثا من النوق وأعطت عبد الله سيفا وفاء لدينه ومضت الايام .

وبينا أسير في أسواق دمشق واذا بشخص يلوح لي ، عليه ملامح الاجلال ، وقبلني تقبيلاً حاراً واصطحبني الى بيته وبالغ في اكرامي . وعلى الطعام قال لي : سبق لك أن كنت عمي يا عم عبد الله فاستغربت قائلاً : أنا ؟ قال نعم . أتذكر البدو الذي اعطوك عبداً مقـــابل ثلثمائة ريال ؟ قال اذكر . . قال : هأنذا ذلك العبد قال عبد الله وكيف صرت هكذا ؟ قال : لما عدت الى دمشق كانت الحرب دائرة بين السوريين وفرنسا واشتركت في الحرب وكانت التعليمات توصي بالأسر لا بالقتل ، وحدث ان اسرت قائداً كبيراً عليه نياشين ، واذا به بينت من الأرمن في زي قائد هي ام هؤلاء الاولاد ، انني الآن صاحب حانوت كبير ابيع فيها لوازم الابل . . . وهذا ثمن الشجاعة . . العزة والكرامة والتجارة .

★ ★ ★

الفصل الثـاني :

«(القـــوة . . . والشجاعة)»

ما اجمل الشجاعة والقوة اذا اجتمعتا في الانسان ، وهذه قصة جماعة من قطاع الطريق المسمون « حنفل » وجدوا جمـــاعة من الرعاة معهم دوابهم واغنامهم وطعامهم ، فأخذوا ما معهم ، وفي طريقهم رأوا ببطن الوادي رجلاً من هؤلاء وطلبوا اليه ان اخلع قميصك ، فأبدي الحزن مما اطمعوا فيه واظهر اختلال توازنه ، فجعل الحنشل يضربونه وصار هو يتقهقر واذا به ينتزع حجراً من الارض فضرب به قائد الجمـــاعة فتدحرج على الارض ولم يرجع عنه حتى اصدر امره لرجاله اللصوص ان يفكوا اصحابه وان يردوا اليهم حاجاتهم ومواشيهم ، ثم طلب منه لكي يتركه ان يتعهد هو ورفاقه الا يعودوا لعملهم البشع هذا مرة اخرى .

وهكذا حلت الشجاعة والقوة عقدة هؤلاء اللصوص .

«(بطـــولة . . . نادره)»

قصة بطل من بلادي ، ولذا أعـــتز بها . ابراهيم العبد العزيز اليحيى من الجمالين الذين ينقلون المؤن والركاب بين البلاد المجاورة ، وكان لابراهيم صديق يعرف يهودياً يقيم في البحرين ، قبل اغتصاب اليهود لأرض فلسطين

حدث نزاع بين صديق ابراهـيم وذلك اليهودي وتجمهر اليهود حـول هذا الصديق وأهانوه ، وكان لليهود شارع بأكله في البحرين .

غضب ابراهيم وانتزع سلسلة غليظة من باب أحد الدكاكين وفيها قفل الباب وطـــاح في الجميـع وترك الشارع بين طريح وصريع ، وبين هارب ومتربص ، وأمرت الحكومة ابراهيم بمغادرة البحرين خوفاً عليه من اليهـــــود .

★ ★ ★

[حـكاية . . .]

هذه الحكاية على لسان واحد من سكان الصحراء قال : أيقظه جار له في منتصف الليل قائلاً : هيا بنا نحنشل (نقطع الطريق) وكم كان هذا شائعاً حتى قيض الله للبلاد موحد الجزيرة المغفور له جلالة الملك عبد العـزيز طيب الله ثراه ، وحدها تحت راية لا إله الا الله محمد رسول الله .

يقول الحاكي : لما نبهني جاري وعرض ما أوردت قلت : الليـل بارد وظلام ، لكنه اصر على رأيه ودرنا طول الليل حتى الصباح اذ وجد شاباً يعشب ومعه حماره وطعامه وملابسه ، تقدم منه جاريو نزل عليه بعصا غليظة كأنه يضرب في صخر . فقال الشاب أنت وما تريد . قال اخلع ثوبك وهات طعامك فدله على الطعام ثم حله في الهواء والقاه ،

وحال سقوطه على الأرض حش عنقه بمحش العشب ، ولما أبديت بعض التأفف صفعني صفعة قذفتني عدة أمتار ، فهربت أبتغي النجاة منه .

ولما ذهبت إلى البلدة سألني عنه أهله ، قلت تفرقنا ، والويل لمن يصاحب شريراً .

واختر قرينك واصطفيه تفاخراً
إن القرين إلى المقارن ينسب

= = =

الفصل الثالث :

[يأكل البعير ويحمل حمله]

قصة حكاها لي أحد علمائنا الأفاضل الشيخ صالح البراهيم الكريديس يقول رحمه الله :

كنت أطلب العلم في حوطة بني تميم وعشت فصول هذه القصة المضحكة ويقول : كان هناك أخوان شقيقان ، كبيرهما يحتطب ويبيع جزءا وللبيت جزء ، وكانت لهم فلاحة متواضعة فيها ناضح ليسقي الأرض ، وكان من عادة والدته أن تزهبه (تجهز له) بكمية من التمر وتضعه بشملة وتعلقه بنخلة في فناء المنزل .

وفي إحدى الليالي وجد حواراً فذبحه وطبخه في القدر ، ووضع ما بالشملة بمرقه ، أكل الحوار وعصد التمر بمرقه وأكله ولما صحت والدته سألها أين زهابي قالت بالشملة على النخلة ، قال ذلك أكلته ، سمع أخوه فصاح بأعلى صوته : أكل ولد الناقة وأكل التمر ، أخشى ان يأكلنا ، فقالت والدته انه ينفق علينا فله ما أكل .

قال الصغير أعطني حبلاً أطول من حبله وذهب ليحتطب من مكان بعيد ما وصله إلا وسقط من الاعياء ، وتكبد كل المشاق حتى وصل البيت وهناك قال لأمه دعيه يأكل ما يشاء ، إن له علينا بعد الله لفضلاً لا أستطيع أن اجاريه فيه .

– – –

مشابهة

أخوان شقيقان من الطرفية إحدى بلدان القصيم ، اخضرت الأرض واعشوشبت وكثر خيرها ، فكانت سنة خير وثروة ونشاط تجارة البدو والفلاحين .

كلفتهما والدتهما بجمع العشب ذات مرة وعاد كل منهما متعبا بحمله لكن الصغير منهما أتعب الكبير في التوجيه والانتظار وعدم القدرة الكافية في مثل سنه .

لكن الصغير مع هذا قام بكل عمل قام به أخوه الأكبر ، من حش وجمع وربط وتجهيز حمل ، ثم جاء رسم التعب ، ضريبة الاجهاد فنام فوق عشبه وقام الاكبر حمل عشب اخوه فطرة سادت بين البشر في قوانينها ، وما أحسنها من فطرة . . .

– – –

[الرجال . . أنواع]

فلاح استأجر ثمانية رجال يفلحون أرضه ، وبينما هم يعملون في الارض مر بهم عامل يدور على طلب الرزق فسلم عليهم ثم عرض عليهم ان يعمل معهم ، وانتظر حتى أتى صاحب الارض فاشركه معهم .

لكن الجماعة حسدوه على ذلك ودبروا إرهاقه في العمل حتى يزهق ويتركهم ولكنه لم يبد تعبا وكلما زادوه إرهاقا زاد صبرا .

وكان من عادة صاحب الأرض أن ينتظر العمال ليتناولوا القهوة بعد صلاة العصر ويتناقشوا في أمر الارض ولكن ذات يوم حضر هذا العامل الغريب قبلهم لأنه أتم نصيبه من العمل قبلهم ثم قال لصاحب الارض ، ان أرضك يكفي لها عامل واحد وهاأنذا ، ونفذ الفلاح رغبة هذا العامل وأبقاه حتى انه زوجه ابنته لكي يضمن بقاءه عنده . . .

« ويمكرون ويمكر الله والله خير الماكرين » صدق الله العظيم

= = =

[جاء الجراد فجاء العذاب]

كان يضرب هذا المثل لأن الناس في الماضي ولشدة الفقر ، كانوا يتبعونه لجمعه وأكله ، وكانوا يقطعون في ذلك الاميال ، وحدث في القصيم ان هرع الناس الى مكان ينتظرون فيه طرود الجراد ان حال بينهم وبينه تل شاهق يصعب صعوده فكيف ومعهم ستة من الحمير .

احتال واحد منهم ، وبطريقة اقرب الى الخيال ليصعدوا واحداً واحداً ومعهم حميرهم لينزلوا حيث الجراد .

وصدقت الحكمة الحاجة تفتق الحيلة . .

= = =

[من يضرب بحمار ؟]

كانت الابل لنصف قرن هي وسيلة المواصلات في الجزيرة جماعة من هؤلاء الجمالين من أهل الزلفى ، أهم ارادة وتحمل ، والمعروف

أن هناك شبه عداء بين البدوي والحضري ، كان ذلك فيا مضى ، شيء أشبه بالعنصرية المقيتـــة .

وردة هذه الجماعة ماء ليسقوا ابلهم ، والمعروف ان الماء ملك للقبيلة التي تسكن بجواره ، منعت القبيلة الجمـــاعة من ان يسقون ، وعبثاً ذهب كل رجائهم للقبيلة عبثـاً ، فوجدوا انه لا بد مما ليس منه بد ، لا بد من استخدام القــــوة . . .

انقض افراد الجماعة على البدو ، وحمل احدهم حماراً مربوطاً وقذفهم به فلما ادرك افراد القبيلة هذه القوة في احدهم فروا جميعاً تاركين الماء لهم .

★ ★ ★

((رجـــال . . ورجـــال))

سافر جماعة قاصدين البحر ليعملوا في الغوص ومروا بدحل من دحول الصمان لايدخله الا النادر من الرجال حيث هو اشبه بقبر مظلم غير مأمون ، تسكنه الهوام والوحوش ، تفتحه السيول دائمـــا .

قصده هؤلاء الثـــلاثة ظانين ان عليه من يسقيهم ، تطوع احدهم وربطوه بحبل ودخل يحبو مرة ويسير على قدميه مرة ومعه قربه الثلاثة وكان بالدحل بنت لامست هذا الداخل ثم شقت طريقها للباب فما ان رآها الرجلان حتى ركبا ناقتيهما وهربا ظانين ان صاحبهما قد مسخ .

نزل الرجلان ببطن الوادي فوجدا شيخاً من الصلبة معه حمـــاره وكلب صيده ومن حديثه فهما انه أرسل ابنتـــــه للدحل لتجلب ماء ، فقـــالا : وامصيبتاه .

في تلك الاثناء كان اخوهم قد طلب الى البنت حين تصل باب الدحل

أن تجر حبله فتسحبه هو والقرب ، وحدث ذلك فلما خرج لم يجد اخويه .

جلس ثالث الثلاثة يتحدث مع الفتاة عند في الدحل حتى وصل ابو الفتاة مع الرجلين ، وامام منظر خويها اصابها الخجل . وويل للعـــاقل من الصديق الجاهل . . .

= = =

«(ثلاثة يهزمون فريقاً من البدو)»

ثلاثة اخوة كانوا مسافرين من القصـــيم للكويت لغياصة البحر ، كانوا ثلاثة اشداء ، وكان الازدراء متبادلاً بين البدو والحضر .

ورد الاخوة ماء عنده بدو فاحتقروهم واستهانوا بهم ثم منعوهم من شرب الماء ، وكلما ابدى الثلاثة رجاء ، كلما ازداد البدو جفاء .

وبدأت المعركة وشج البدو رأس واحد من الثلاثة ، فجن جنونهم وفقدوا صوابهم ، وصالوا وجالوا كالسباع الهائجة ، فأخرجوا البدو من مضاربهم ، حتى جاء عقلاؤهم واستسمحوا الاخوة واعترفوا لهم بالخطأ منهم وخرجوا من المعركة منتصرين . . .

وهنا اذكر قول عمرو بن كلثـــوم :

ألا لا يجهلن احـــد علينا

فنجهل فوق جهل الجاهلينا

= = =

المــــزارع واللصوص

كان لمزارع قليب (بئر ماء) في إحدى ضواحي بريدة ، وبجواره أرض يزرعهـــا .

وذات مرة وهو يحمـل آلات الزراعة المعروفة آنئذ قابله لصان ، فظناه لقمة سائغـــــة .

جعلا يضربانه ومن شدة الضرب سألهما لماذا هـذا ؟ قالا : نريد كل ما معك ، فقال : هيا ساعداني على إنزال الحمـــــــــل وهو لـكما ، فلما اقتربا منه وضع كل منهما تحت ابطه وواصل سيره وفي أثناء سيره كان يضغط عليهما حتى أغمي عليهما فألقى بهما ثم تركهما جثتين هامدتين .

واصل المزارع سيره حتى وصل القليب ، وبعد ساعات أتاه اللصان واعتذرا له وعاهداه على الا يدوسا أرضه أبداً ثم أرادا معرفة اسمه ، فنظر اليهما وقال : لو عرفتكما حيـن ما تركتكما ، ارجعا الى الله وتوبا خير لـكما ، فكان توبتهما .

= = =

[فكر .. تسلم]

عم الـ راشد الحميـــــد من رجالات بريدة ووجهائها المعروفين في سنة شديدة السيل ، خرج يصحبه ابنه وإذا بالوادي يمشي وقد حجز الناس عن العبور ..

وكان للشيخ الملقب حجرا قليب جنوب السيـــل ، وكان معهما حمار عليه عدل عيش .

انتظروا يوما أو يومين والسيل في عنفوانه فخير ابنه أيهما يحمل العدل أم الحمار ؟ فرضي بالأخير حلا وعبرا السيل وبقي الناس خلفه مدة عشرين يوما أو يزيد وزرعاه وكان خيرا .

« الباب التاسع »

(فيه ثلاثة فصول)

حكمة العلماء وفراستهم ، وزهدهم ، وورعهم

الفصل الاول :

شكى رجل للامام أبي حنيفة حاله ، قال : قد فقدت أمانة وارهبك أن تفتيني ، قال : ما في ذلك فتوى قال أعلم ذلك ، لكن أريد أن تساعدني قال : ما أرى إلا أن تحيي الليل متهجدا حتى الصباح ففعل .

فلما انتصف الليل ، ذكر الأمانة ومكانها . وفي الصباح أتى الإمام ، يدعو له ويخبره بالأمر . فسأل الامام من حوله ما سر ذلك ؟ قال : ان الشيطان لا يتركه يصلي الليل كله ، فذكره بالأمانة .

= = =

وتخاصم اثنان عند أبي حنيفة لأن أحدهما أنكر أمانة له عنده فقال الامام للمنكر : أعطه ما أمنك عليه . قال لم يؤمني على شيء ، ولا أعرفه ، وما سبق أن اجتمعت به .

قال الامام للآخر : متى أمنته وأين ؟ قال يوم كنا وأنا وهو جلوس تحت الشجرة بمكان كذا . كلفه الامام ان يذهب الى الشجرة عله يجد امانته تحتها وأمر المنكر ان يبقى عنده لكن سبقه الحق على لسانه إذ قال : إن الشجرة بعيدة عن هنا فلما عاد صاحب الامانة قال لم أجدها تحت الشجرة قال الامام لا عليك : لقد اعترف صاحبك وسيؤدي اليك امانتك .

« إن الله يأمركم أن تؤدوا الامانات إلى اهلها »

صدق الله العظيم

= = =

والد الإمــام ووالدته

يقال ان والد الامام كان يمشي مرة بجوار احد بساتين بغداد فوجد تفاحة قد سقطت من شجرتها ، وكان جوعان فأكلها ، فنــــدم واسرع فدخل البستان يطلب السماح من صاحبه ، واذا بالجالس في البستان اجير . واذا بصاحب البستان في بلدة كذا ، فسافر اليه يستسمحه ، فلما وصل اليه واخبره الخبر ، قال : لن اسامحك الا اذا تزوجت ابنتي ، وكانت عمياء وصماء مقعدة قال وما شأني بها وهي كما تقول ؟ قال هذا شرطي فقبل الشرط واخذها فاذا هي آية في الجمال والكمال ، قال : ما حملك على ما قلت ؟ قال ما كلمتك : انها عمياء وصماء عن كل ما حرم الله ، ومقعدة عن الخروج للأسواق ، ويقال ان هذه هي والدة الامام ابي حنيفة النعمان . . .

هــــذا الشبل من ذاك الأســـد .

= = =

«(وفتــــــوى)» لسيدنا الإمام مالك رضي الله عنه

وللامام رضى الله عنه في ساحة فتواه هذه الفتوى : يقال ان امرأة من اللاتي عملهن غسل الميتات ؟ كانت تغسل مرة ميتـــة فضربتها بيدها على فرجها قائلة : كم مرة زنيت ؟ وحاولت المرأة رفع يدها ولا جدوى فقد التصقت يدها بالفرج وكثرت الآراء فمن قائل : تقطع يدها ومن قائل يسلخ الفرج حتى جاء من يقول عليكم بأبي حنيفة . . أفتى الامام الاعظم بأن تضرب المغسلة ثمانين جلدة وتم ذلك وبعد الثمانين نفضت يدها فاذا هي حرة طليقة . . . إنه حـــد القذف . وبذلك برأه الله جـــل وعلا وعاقب الباهتة وخزاها .

= = =

الامام أبو حنيفة ... أبي حنيفة وما لك ... المدينة

ولقد همت به ، وهم بها

قصة جمال وامرأة ، جمال ممن ينقلون كل شيء بين المدن ، وحدث ان مرأة اضطرتها الظروف ان تسافر وحيدة فاختارت ذلك الجمال الذي تخيلت فيه الصلاح والأمانة فلما توسط الطريق كان الليل قد غطاهم عرج عن الطريق العام لشيء في نفسه ولما سألته لماذا قال لنرتاح قليلاً . فقالت : لقد اخترتك لأمانتك فواصل السير احسن لنا . . .
لكنها عادت فعرضت عليه ان يرتاحا فرفض رغبتها .

شكا الجمال الواقعة لأحد العلماء فقال له : لقد كان الشيطان ثالثكما فراودك عنها اولاً ، ثم جعلها تراودك عن نفسها ثانياً ، ولكن الله سلم .

★ ★ ★

«(طرفة من قاض)»

ما أكثر نعم الله على القاضي اذا أمده بالعقل والحكمة والفراسة والحكمة ، نعم يهبها الله من يشاء من عباده .

تخاصم اثنان وذهبا للقاضي ، فطلب من المدعي شاهداً ، فأحضره ، قال القاضي ومزكياً ، فأحضر انساناً طيب القلب حسن النية فسأله القاضي . . أتزكيه ؟

قال : انه عاق لأمه ، تارك لصلاته ، ولا اعرف عنه سوى هذين العيبين ، فنصحه القاضي ببر امه وتقوى الله واداء الصلاة .

« فلا تقل لهما اف ولا تنهرهما وقل لهما قولاً كريماً »

« يا ايها الذين آمنوا اقيموا الصلاة وآتوا الزكاة »

«(ما أحسن الرفــق)»

في احدى ليالي رمضان ليلة السابع والعشرين او ليلة القدر ، كان امام المسجد مع جماعة من المصلين يتهجدون .

وكان بجوار المسجد احد شرطة الامير وبعض صحبه واصوات رباباتهم ودخان سجائرهم تصل الى آذان المصلين .

اناب الامام عنه غيره وذهب لدار هذا الشرطي وطرق بابه فلما فتح الباب واذا بالشرطي خجلان آسفـــا . وسأله الشيخ اتعرف لم جئتك ؟ قال نعم ، ولقد عز عليك شقائي في مثـل تلك الليـلة ، ان لك ان تزجرني كما تشـــاء .

قال الشيخ : هداك الله ، الناس يستجدون الله في ليـــلة عظيمة وانت تنســـاه ، ولم يكمل الشيخ كلامه حتى كسر الرجل الربابة وألقى بلفائف الدخان في الارض وقام وتوضأ وطلب الى الشيخ ان ينتظره ليعود الجميع للمسجد يتهجدون ويتعبدون .

« ادفع بالتي هي احسن فاذا الذي بينك وبينه عداوة كأنه ولى حميم »
صدق الله العظيم

★ ★ ★

«(إن الهدى هـدى الله)»

دخل اعرابي احدى المحاكم وهو لم يعلم رئيسها ، فقال اين الرئيس ؟ قالوا وما تريد ؟ قال : ادخن فقيل : بمديك . وبينا هـــو يدخن اتاه من قال له : انك في مجلس القضاء . والجالس امامك هو القاضي ...

فيعجب من حلم القاضي وأدبه ، وانه انتظر عليه ولم يزجره فأقسم أنه لن يدخن بعد اليوم ، لقد كانت نصيحة القاضي صامتة فآتت أكلها .

الدين النصيحة : قلت لمن يارسول الله ؟ قال : لله ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم . « ان الله يهدي من يشاء » .

الفصل الثاني :

«(الشيخ ابراهيم الحمـــد الجاسر)»

رجل عرف بكرمه فوق ورعه وزهده . يقول عبد العزيز المليط في احدى سفرات الشيخ لحائل - يرحمه الله - بينا نحن في منتصف الطريق اذ بركب يتبعنا فالطريق كانت غير مأمونة بالمرة فصرنا نتأهب لهم ونستعد .

سألنا الشيخ : مابكم ؟ قلنا : خلفنا ركب نخافهم . قال : اطمئنوا ولن تروا الا ما يسركم .

ولحق بنا الركب وتعارفنا وصرنا أصدقاء . ثم جلسنا وطلب الشيخ أن يسوي أخوه عبد الله طعام العشاء ، فقلت له ان ناقة أحد أصدقائنا من الركب ضائعة ، فقال أنا ضامن لها وفي الصباح ان لم نجدها ساعطيه ناقتي ، وفعلا وجدناها في الصباح علي مقربة منا وهي بخير .

وحـــدث أن كان أربع نوق مع راع يرعاها ، عشائر ، ولما قرب ميعاد ولادتهن سطا عليه قاطع طريق فأخذها جميعها فجاء خائفاً يبلغ الشيخ ، فقال له لا تحزن : هن لي الى يوم القيامة .

وله الكثير رحمه الله حتى يقال انه ما أكل وجبة الا كان معه فقير .

= = =

«(جزاء الكذب)»

تآمر ثلاثة على عصمة راودوها عن نفسها فرفضت وهددت فشهدوا عليها انعندها كلبايواقعها ، وأقروا بذلك للقاضي فرأىالقاضي معاقبتها .

لكنه استراب في الأمر وسأل كلواحد منهم على حدة : مالون الكلب؟ ومتى كانت الجامعة ؟ فاختلفوا جميعاً ، فأقام الحجة عليهم وعوقبوا .

الفصل الثالث :

«(باب في الزهــد والزهاد)»

قصة أعرابي وقعت فصولها في حائل وعلى يد الشيخ عبد الله بن بليهد وهو رجل على جانبي من العلم والعقل .

دخل عليه أعرابي يستحير ، فقال له ما تستجير ؟ قال من أربعين شاة وحلها ليست له قال لمن هي اذن ؟ قال :

حججت في سنة ، جمعتني الاقدار فيها برجلين لا أعرفهما ولا يعرفاني غير أننا عرب . جلسنا في مقهى واشترينا ثلاث خــبزات . قام أحدنا ليقضي أمراً لكنه تأخرعلينا ، فقال صاحبي نأكل خبزته وان حضر دفعنا له قيمتها ، قلت اعطنى قيمتها فاعطانيه وهو ما يساوي الفلس فاشتريت به مخاطاً بعته بسخل ، وصار السخل هذ العدد من الشياه ومعها حلها فقال الشيخ : يا أعرابي تصدق منهــا وضح وادفع زكاتها وكل ما تفعله قل انه لصاحب الخبزة ، ولن يكون هناك أصلح منك .

= = =

العبــد الزاهــد

قصة عبد زاهد من أهل اشيقر احدى مدن الوشم ، عبد مخلص لربه مخلص لسيده ، كان مع عمله ، يحرص علي عبادة ربه كان يصنع خيولا يوهم به نواضحه من الخير ، ينصب مرة للحرم المكي ، وأخري للحرم المدني ، وثالثة لبيت المقدس . رأى الناس الخيول ونبهوا سيده اليه فراقب بنفسه الحالة وعرض امر العبد على شيخ كبير فأفاده أن عبده من الزهاد الواصلين فأعتقه ولا يزال هناك حوطة باسمه ياوشقر .

ويقال ان العبد لما عرف ان امره كشف سأل الله أن يقبضه اليه وكان أجله فعلا انتهي فقبضه الله اليه ، ونعم الصلة بالله العظيم .

= = =

«(قصـــة مسافر . . .)»

اعتاد رجل انيسافر لاعماله بين مدن الوشم ، وفي أثناء سيره تكاثفت السحب ، وأظلم الجو ، وكان البرق والرعد فأسرع الى جبل طويق عله يجد فيه كهف يلجأ اليه ، وفعلا عثر علي غار استقر فيه ريثما تهدأ الدنيا من حوله .

فلما صار السحاب فوق رأسه ، سمع صوتاً يقول : سيري أيتها المأمورة لحديقة فلان . . وهو يعرف فلاناً هذا يقيم على قرب منه .

ولما هدأ الجو ذهب الى حديقة فلان هذا فوجدها وقد ملئت بالماء يكفيها دون تعب ، فبشره بما سمع ثم سأله ماذا أنت فاعل بحوطتك هذه ؟ قال : اني جاعلها ثلاثة أثلاث ثلثاً أنفقه عليها ، وثلثاً أتصدق به ، والثلث الباقي آكل منه أنا وعيالى . فتلا الاية الكريمة « مثل الذين ينفقون أموالهم في سبيل الله كمثل حبة أنبتت سبع سنابل في كل سنبلة مائة حبة والله يضاعف لمن يشاء والله واسع عليم » صدق الله العظيم .

= = =

«(صـــاحب الدحـــل)»

الدحل نقب تفتحه السيول علي مدى الايام ببطن الارض ويكبر حتى يصير جباً ، يصبح مورداً .

ومن العادة ألا يرد هذا المورد الا الشجاع لانه قد يصبح مأوى للسباع

وغيرها . وكان يوجد بالصمان ينجد خمسة دحول ماؤها عذب براد .

وقد حكي ان اعرابياً سالحاً سلك طريقة الى دحل واخطأ بابه وتاه في داخله ، والداخل لا يدرك فيه ليلا او نهاراً لانه ظلام دامس .

حاول اخوه البحث عنه دون جدوى حتى يئس . ومرت اربعون يوماً كانت كافية لجعله في عداد الذين ماتوا وانتهوا . . ولشدة ما فوجئوا اذ يرونه ذات يوم قادما عليهم وكأنه خارج من مقبره وسألوا كيف خرجت؟ قال : سمعت صوت اقدام فتبعتها حتي ظهر النور ، واذا الاقدام لثعلب ، وتابعت السير حتي خرجت ، لكنني ما كان لى قدرة على الابصار . ومن حسن حظي وجدتني على مقربة من مضارب بدو عالجوني ، حتي رد الله الي بصري .

اما طعامي فكنت ارى في منامي ناقتي تأتيني واطعم من لبنها وهي واقفة عند رأسي وقد جعلتها في سبيل الله لمن اراد ان يحج عليها . . . اعرف الله في الرخاء يعرفك في الشدة .

= = =

[فـلاح . . . وقصــة !]

هذه قصة فلاح من اهل سدير في قلب نجد . كان هذا الفلاح يرى في منامه يومياً في كل ليلة ان لك رزقاً ببيت المقدس وكان الناس قديماً يضعون اموالهم في باطن الارض وربما ماتوا والاموال في مكانها لا يعرف بها احد .

صمم الفلاح على ان يسافر مع العقيلات (تجار الابل المسافرين للشام والعراق وغيرها) ووصل الى فلسطين ثم الى بيت المقدس . وطالت مدة غيابه عن اولاده وجعل يسأل اين الرزق الذي وعدت به ؟

دخل الى روضة المسجد فاذا بشيخ كبير على عباءة ملازم التقوى

وانحت قدمي الى امامي

وأمارات الصلاح فشكا اليه أمره بعد أن قص عليه قال الشيخ انا رأيت عدة مرات بالبلد الفلاني ويحوطه فلان لى رزق في منحاته وشحت قدم حماره الامامي كز وأنا لا أعرف البلدة ولا الحوطة وهى بلدة الشيخ وحوطته وحماره تعلمان الله ساقه ليخبره فأخير رجع ووجد الكثير مما ذكر له الشيخ في بيت المقدس ضحك الشيخ عالياً ثم قال : يا أخي هذه أضغاث احلام ، كثيراً ما يحدث لى هذا الذي حدث لك ، لابد يا أخي للرزق من سبب . . . اخذت هذا الدرس ثم عدت لبلدي (هكذا يقول الفلاح) وفي أثناء عودتي طاف بخاطري تلك الآية الكريمة وفيها هذا الامر السماوي لمريم البتول « وهزى اليك بجزع النخلة تساقط عليك رطباجنيا » فقلت إن الله سبحانه الذي خلق النخلة - قادر على هزها من خلال الريح لكنه سبحانه أراد أن يؤكد الاسباب للرزق فأمر مريم بهزها ، حكمة شاء الاله بيانها .

= = =

قصــة الملك العــادل

يحكي أن ملكاً اشتهر بالعدل ، ضعف سمعه وبصره حين أدركته الشيخوخة ، وكان يخشى أن يقصر في امور الدولة . وكان وزراؤه يطمئنونه على أن كل شيء ، يجرى بقدر معلوم . لكنه كان يقول أخشى ان يناديني مظلوم فلا اسمعه ولا اراه . فأمر بأن يعلق في مفترق كل طريق سلسلة تتصل بأجراس في مجلسه ثم نادي بأن كل من له حاجة يجذب هذه السلسلة .

دقت الاجراس مرة فأمر بمعرفة من شد السلسلة فاذا هو ثعبان غليظ مر من فوق السلسلة فأمر الملك بقتله وقد وجدوا بفمة بنوراً امر الملك زرعها فانبتت نباتاً كالريحان .

طلب الملك من رجاله ان يفتوه فلم يعرفوا ، وعرف ان هناك شيخاً

في بلدة كذا خبير في هذا ، فأرسل اليه فاذا هو أشبه بميت ، فاستقدم أربعاً من بنات القدس الجميلات وأمرهن بالاشراف على علاجه حتي يطيب .

وبعد اربعين يوماً استرد الشيخ صحته وكافأ الملك البنات كان عنـــد الملك اعداد من ذلك الريحان فعرضهن على الشيخ فقال ان لهذا الريحان قصة تصور الصدق والزهد .

تقول القصة إن رجلا باع أرضاً زراعية ، وبينا الشاري يحرثها اذ هو يعثر على كنز من الذهب فحمله وذهب به للبائع الذي باعه الارض قائلا له : لقد وجدت هذا الركاز في ارضك فها هو فخذه ، فقال البائع لقـــد بعتك الارض بما فيها .

اختلف الرجلان فاحتكما للقاضي الذي لم ينجح حتى في قسمة الكنز بينهما وكلاهما يرفضه فقال القاضي للأول ألك ابنة ؟ قال نعم وسأل الثاني ألك ولد ؟ قال نعم قال زوجوهما واجعلوا الكنز مهراً فرضيا بهذا الحل . فلما زرعت الارض كان نباتها ريحاناً لا مثيل له ، وبنعمه من قال : القناعة كنز . . .

- - -

[أهل الكرامات . . . ! !]

قصة ربان سفينة وبحارته تصور الصدق وفضله ، وما لصاحبه من الكرامة في الدنيا قبل الجزاء الطيب الموفور في الاخرة ... كانت الاعمال في الماضي شاقة ودخلها ضئيل .

سفينتان على الاولى ربان وبحارة يخافون الله ، وعلى النقيض منهـا سفينة أخرى لايعرف الله ربانها وبحارتها وكانت الثانية يسير عليها في الرزق بينما الاولى مركب الصالحين مضيق عليها ثار البحارة في هذه السفينة على الربان وتذمروا وأجمعوا على ألا يصلوا ظهر ذلك اليوم الذي ثاروا فيه .

صلى الربان وحمــــد الله ثم كان اول صيد لهم محارة فتحوها فاذا هي فيها جوهرة غالية فهاجو فرحين بينما كان الربان يبكي. .لقد عرف أنها ابتلاء من الله ثم غافلهم وألقى بها في البحر وأقسم ان السفينة لن تتحرك إلا إذا صلوا ، فصلوا وعادوا . قال الربان للطباخ ألق بالشبكة لتصيد عشاءنا فاصطادت سمكة كبيرة .

وعند تنظيف السمكة واعدادها لان تطهى إذ الجوهرة ببطنها فقال الربان خذوها الان ، فحمدوا الله واستغفروه على ما قدموا من خطأ . .

« ومن يتوكل على الله فهو حسبه » صدق الله العظيم . .

= = =

«(الرجل الصالح والسمكة . .)»

قصة رجل فقير ، مؤمن ، صابر من أحباب الله في الاخرة رأى في منامه من أتاه وقال له : ان لك رزقاً بمكان كذا قال أو فيه بركة ؟ قال لا . المفاضة

فلما اصبح اخبر اهله فقالوا له : اتسأل عن البركة ونحن في غاية الفاقة والبؤس ؟ قال الذي لا بركة فيه ، لا خير فيه مرة اخرى نبه الى ان بجوار بيته درهمين فيهما بركة ، فاستخرجهما وذهب الى السوق واشتري بهمــــا سمكة ، وعند تنظيفها عثروا في بطنها على جوهرة باعوا فذهبت بفقرهم ومن يتق الله يرزقه من حيث لايحتسب ، ومن يتوكل على الله فهو حسبه.

= = =

[الصحابي . . والرحى]

في حديث رواه ابوهريرة ان صحابياً دخل علي زوجته واولاده وهم في هلع من شدة الجوع ، فخرج الصحابي حين ازعجه ما رأى من ضوضاء الصبيان على اثر الجوع .

لكن هناك ارحم الراحمين ، من يعطف على البائسين . قامت الام وادارت الرحى ، وشبت النـــار في التنور لتلهي الاولاد فيكفوا عن الضجيج ، والرحى خالية لا شيء فيها فهي لا تملك حبا . ويشد ما دهشت ام الاطفال وهي ترى الرحى تدور مالالى بالتدقيق فجهزت الخبز الذي ملأ التنور ، والرجل هائم في الفلاة يرفع اكف الضراعة الى الله .

اوقفت المرأة الرحى ويقال ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لو تركت لدامت تدور الى ما شاء الله .

= = =

[الرجل الصـــالح والدراهم الثـــلاثة . .]

رجل فقير كان عنده ثلاثة دراهم ، طرق بابه سائل فاعطاه درهما وجاء طارق ثان فاعطاه الثاني ولم يدم الوقت طويلا حتي كان طارق ثالث فاعطاه الدرهم الثالث وهو اشد ما يكون حاجة لهذه الدراهم .

خرج الرجل يبحث عن رزقه ، وبينما زوجة تصلح فراشة اذ بها تجد صرة بها مئات من الدنانير . فلما عاد سألته زوجته لم تخبرنا عن هذه الصرة؟ قال واي صرة ؟ اريتها .. فلما رآها شكر الله سبحانه الذي عوضه عن كل درهم بمائة دينار فقد كان بها ثلثمائة دينار وقد اقسم انها صلة من الله لا غير . وما تقدموا لانفسكم من خير يضاعفه لكم ويغفر لكم والله شكور حليم .

= = =

[الحـــاج وصاحب العقـــد]

حاج كان يسير بمكة فعثر في الطريق على عقد ثمين فحمله معه وبينما هو يسير اذا بمن ينادي على العقد فاعطاه صاحبه بعــــد ان تأكد انه المنادى عليه .

حاول صاحب العقد ان يكافئه لكنه رفض المكافأة وطلب من صاحبه ان يدعو له فدعا له ثم افترقا .

ركب الحاج السفينة الى بلاده وفي الطريق هبت عاصفة قوية حطمت وقذفت السفينة والامواج على الشاطيء واذا بهذا الحاج يجد نفسه ملقى على الشاطيء وبعد ان افاق وجد آثار اقدام تبعها وكلما سار كثر اثر الاقدام حتي وصل بلدة استضافه فيها اهلها .

كان هذا الحاج من العلماء فمكث في هذه البلدة يعلم الكبار والصغار فأحبه الناس واختاروا له بنتاً يتزوجها ولما دخل بها وجدها من اجمل البنات وبنظرة عابرة وجد العقد الذي كان قد لقيه في مكة في عنق الفتاة فعرفه ، وكم كان ذلك مفاجأة له ، فسألها عن والدها فعرف انه توفي فأسف لذلك وترحم عليه ، افعل خيراً تجده .

= = =

كرامات ابن حسن

رجل صالح من اهل القصيمة له كرامات معروفة . جاء رمضان والحالة كانت بؤساً والعملة نادرة بيد حفنة من الناس لما انتصف رمضان قالت زوجة هذا الرجل : ان بناتك في حاجة الى ثياب جديدة فقال ييسر الله .

وكلما تقدمت الايام يزداد الحاح الزوجة والرجل يقول ييسر الله وتزداد مطالب الزوجة لاستقبال العيد .

حتي كانت ليلة العيد كان الخبر كله ، كان من ايقظ رجل بريدة الصالح الورع محمد الربدي ويقول له : اخوك محمد بن حسن ما عنده ثياب ملابس للعيد ولا طعام وفي نفس الوقت رأى في منامه تاجر عنيزة ابو المساكين ابن بسام نفس الرؤية فكان حماران محملان بالملابس والاطعمة تقفان على باب ابن حسن .

ما أروع هذا تفسيراً للحديث القدسي : أنا عند حسن ظن عبدي بي .

كرامة ثانيـــة . . .

في سنة ١٣٣٥ ﻫ انتشر مرض فتاك أخلى معظم البيوت من أهلها وربما كان الكوليرا أتت مع الحجاج ولم يكن هناك طب وقائي .

ولما علم ابن حسن بذلك صار يتردد على بلدة القصيمة ويورد وكانت كثيرة النخيل فنجا الله البلد من هذا الوباء ولم يمت منها فرد واحد . . . « إن الله يدافع عن الذين آمنوا » .

= = =

كرامة ثالثـــة . . .

لا يخفى ما يتركه الجراد من أثر في المزارع والنخيل ، إنه يكنسها كنساً ولا يبقي عليها كما تأكل النار الهشيم .

أتى الجراد القصيم ، وباض وخرجت الصغار أشـــد فتكا ، وأسرع الناس لمكافحته .

أما ابن حسن فما كان منه الا أنه يتردد على بلدية القصيمة صباحاً ومساء يورد وبفضل الله لم يمسها الجراد بسوء ولأجل عين تكرم الف .

من أقدار الله :

الباب العاشر

ولا يحيق المكر السيء إلا بأهله

الفصل الاول :

حدث في عام ١٣٧٦ هـ أن نزل مطر غزير على منطقة القصيم وأحدث أضرار مادية . ومن عجائب الاقدار مما يجعل المؤمن يزداد إيماناً ، دام نزول المطر لخمسة عشر يوماً وانهارت كثير من البيوت لأنها كانت من الطين وحدثت وفيات قليلة .

توقفت الأعمال ومنعت المياه الناس من الخروج لأعمالهم .

وهنا تبدأ القصة :

دخل فقير على جاره يطلب منه عشرين ريالا يدبر بها حاله ريثما ينقطع المطر ، فوجد جاره الموسر على فراش المرض ، أخرج المريض من تحت الوسادة صرة أعطاه منها عشرين ريالا وقال هذه مني لك ولا تعيدها فشكره الفقير .

لكن الفقير يحمل نفساً شريرة فدبر لأخذ الصرة بما فيها ويقرب من الف ريال . فلما انتصف الليل تسلق سور الجار ونظر فاذا هو وزوجه على الفراش وبينهم طفلتهما الصغيرة فهداه تفكيره السيء إلى فكرة . . . أخذ الطفلة ووضعها بفناء البيت تحت المطر والبرد فجعلت تبكي وتصيح ، فصحا والداها وخافت الأم أن تذهب لوحدها فساندت الرجل المريض حتى وصلا فنا البيت وهنا دخل اللص واخذ الصرة .

في تلك الاثناء طاح البيت عليه بينما صاحب البيت وزوجه وطفلتهما بالعراء في فناء الدار .

تجمع الجيران لما سقط البيت وبينما هم يخرجون بعض الأغراض من تحت الانقاض إذ هم يرون هذا الفقير ميتاً تحتها وبيده صرة النقود ، فعلم الوالدان انه هو الذي حمل البنت الى فناء الدار ليتم له سرقة الصرة ... وانما الاعمال بالنيات .

★ ★ ★

نجـو من موت محقق بأعجوبة ..

اجتمع جماعة عند اميرهم يقرب عددهم من الاربعين لانهم رأو ان بيت امرهم هذا اشد تماسكا من بيوتهم . وناموا .

وبينما هم نائمون اذ يصيح احدهم : قوموا انجوا بأنفسكم فجعلوا يتسابقون الى الباب كالفارين من نار حامية ... فلما خرجوا ولم يبق بالمنزل انسان سقط المنزل وآمن الجميع ببركة من ايقظهم وصلته بالله ، لقد اخطأتهم الميتة لانهم لم يستوفوا اعمارهم بعد ومما يجدر ذكره ان الصائح ماسمعه غيرهم ولا يعلم من اين وليس احدهم ما الله به عليم .

= = =

بركة الصالحين ...

ميتاً أنقـذ الله به أحيا

توفي رجل صالح في كارثة سيل ، وكان يعتاد الصلاة في خلوة هو وجمع من الناس الصالحين .

وفي صلاة الفجر كالعادة دخل اصحابه فوجدوه ميتاً حين تسربت المياه الى الخلوة فأغرقتها ، فقاموا باللازم واعلنوا في البلدة عن موت الرجل فنصب خلفه كل من كان في الخلوة ليوصلوه الى قبره .

وسبحان الله في تدبيره ، في الوقت الذي اسرع المصلون بتجهيز هذا الرجل الطيب كانوا جميعاً قد غادروا الخلوة وعند عودتهم وجدوها طاحت سقفها وصل لارضها . وكم في الناس من بركات نجوا جميعاً وهم خارج الخلوة .

أعمـــار

قصة أصحاب سفينة ، ركبوا البحر وهو هادىء وسارت السفينة تشق طريقها إلى حيث هم يريدون .

وقامت قيامة البحر والسفينة صغيرة متواضعة تسير بالشراع ولمـــا أحس الرجال الخطر وكان معهم نساؤهم . فكروا في إنقاذ النساء .

كان معهم طرد تنك مربوط مصفوفة تنكاته كأنه سطح مصطبة فألقى الرجال بالطرد وأمروا النساء تركب عليـــه ، وكأنما كانت قسمة بين الحياة والموت .

عصفت الريح بالسفينة فغرقت ، أما النساء فعالجن الطرد من تحتهن حتى وصلوا إلى الشاطىء بسلام ، ولكل أجل كتاب .

الفصل الثاني :

«(مولود يرضع من ثدي أمه الميتة)»

هذه قصة كان يخالجني الشك في صحتها ، مع إيماني بقدرة الله سبحانه وتعالى فيما يفعل ويريد ، لكنه فيما بعد ثبتت صحتها ومات بطلها منـــذ ثلاثين عاماً .

تزوج رجل من تهامة بامرأة من هناك ، حملت ولما قاربت الولادة رغبت أن تضع عندأهلها وبدأ الرجل وزوجته الطريق الىأهلهاوفيالطريق أحست بآلام الولادة ، وبحثا حولهما فرأيا على بعد كهفاً في جبل فقصداه .

جلست المرأة لتستريح ، واذا بأعراض الولادة بادية عليها وبدأت عملية الولادة فعلا وولدت ثم تم قضاؤها بعد الولادة مباشرة والمولود يبكي من تحتها .

أخذ الرجلالمولود ووضعه بجانبها حين سكتسياحهظانا أنه هوالآخر قضي ثم سد الكهف عليها وأخبر أهلها بالذي كان وبعد عام ليزورها فيكهفها أي في قبرها ، فأحس بحركة ، فتح على أثرها باب الكهف فوجد الولد قد كبر ، وحين دخل ، كانت هناك عين للحرمة مفتوحة فأطبقت وكان الثدي عليه آثار اللبنفجف ، فأخذ الرجل الولد وسبحانمن هو عليكلشيء قدير .

= = =

«(مولود أرضعته ضبعة)»

جماعة من البدو الرحل ، كانوا يقطعون الفيافي ، وفي أثناء الطريق حضرت الولادة إحدى نسائهم ، فاستوقفت الركب حتى ولدت وبعد أيام

رغبوا في استئناف السير ، لموا أمتعتهم ، لكنهم تذكروا على مسافة كبيرة أنهم نسوا المولود في لفته وهم يجمعون الأغراض ولا يمكن الرجوع ثانية إلى مكانه فواصلوا السير .

مرت بالمولود ضبعة فحملته من ملابسه وذهبت الى وكرها وجعلت ترضعه مع جرائها حتى كبر وسار مثلها في الركض والحركة لكنه آدمي الشكل .

سارت سيرة الولد على ألسنة البدو المتنقلين هنا وهناك وتذكر بيت الضبعة وعبثاً حاول اقتياده فماذا يعمل ؟

ترصد الأب للضبعة فقتلها ، ثم ذهب إلى الولد وبعد مشقة استطاع أن يمسك به وعاش الولد بينهم دون يفهمهم أو يفهموه حتى مات ، كم يصنع الحيوان ما يأباه الانسان في دنيا الانسانية ...

= = =

«(غــلام ربتــه الجن)»

قصة رواها سليمان محمد الجربوع وهو رجل ثقة ينقل عنه لصلاحه يقول : كنت عند أعمامي مع أحد رعاة الابل أجمعها اثر الراعي ، فأدركه جماعة من المسافرين لمصر والشام في منازل عنزه وكان معي بندقيتي عثمانية من ذات الاحدى عشرة طلقة للقنص .

تلك

قال هؤلاء الركب ننصحك ، تجنب تالق النقرة التى أمامك منخفض من الارض ، قلت لم أره .. قالوا سيرعبك مثل ما أرعبنا ، فظننت أنه سبع ، لكن السبع لا يخيف عددا من الاعراب مسلحين كهؤلاء فكان الامر غير ماتوقعت اليهم أنهم أخافوني فأخذت للموقت عدته وقد ملأني ما أعهد في نفسي من ثقة وشجاعة .

للموقف

نزلت المنخفض وأنا لم أر شيئاً سوى شبح على قمة جبل يخيل للرائي أنه طائر ، ودنوت منه وصوبت اليه بندقيتي فاذا هو طفل صغير لا ينطق .

كان حافي القدمين والارض كلها اشواك فحملته على كتفي ، فلما رأوه هكذا هربوا صحبي جميعاً ، وصرت أرفعه ثم لكنهم تراجعوا .

ربطته في رحلي وحاولت ان اقدم له طعاماً لكنه رفض وفي الصباح وجدته قد فك رباطه وراح يرعى وتبين انه آدمي تربى وسط جماعة من الجن.

ويقال ان جماعة من صحب امير حائل عثروا عليه قرب مشارف الشام وأخذوه معهم ، ولما وصلوا إلى حائل وضعوه في قصر واغلقوا عليه ، ولما ذهبوا للاطمئنان عليه لم يجدوه خرج مع مجرى ماء يدخل القصر ، فأمر الامير خدمه بالبحث عنه واقتضاء أثره ، فمروا بمضارب للبدو سألوهم عنه فقالوا منذ ثمانية ايام مر بنا غليم قصير فجفناه ، وقد مر وسط ما يقرب من ثمانين كلباً لم ينبحه واحد منها بل لجأت للبيوت مما يؤكد أن معه حرساً من الجن « انه يراكم هو وقبيله من حيث لا ترونهم » فالكلاب ترى الجن ... ومن يعش يرى ، ومن يمشي يرى ... اكثر .

واقتفاء

« الباب الحادي عشر »

(فيــــه ثلاثة فصـــــول)

الفصل الاول :

وفــــــــاء ...

ابن جار الله فلاح ورب أسرة كبيرة لديها عبد مخلص أمين . توفي رب الأسرة فقام بأمرها ابنه الأكبر . تعب الابن وكثرت الديون عليه ففكر في الرحيل ودبر أمر سفره وأرسل عبده لاستدانة عشرة ريالات . لكن العبد كان وفياً للاسرة ، فكر . . لمن يترك هذا أسرته الكبيرة ؟ وصمم على شيء . . .

استدان الريالات العشرة ، وذهب إلى بيت من بيوتات كبـــار بريده وطرق الباب ، وأول شخص فتح له الباب أعطاه ريالاً من العشرة ، ومن بعـــده أعطاه ريالين ، المهم أنه وزع العشرة على من قابله حتى تكلمت عنه الالسن .

ولما سلم العبد على هذا التاجر الكبير قدم له نفسه قائلا أنا عبد ابن جار الله أرسلني في طلب يد كريمتكم واتفقا عـــلى أن يتم كل شيء . في الليلة القابلة .

عاد العبد إلى عمه وأخبره بأنه اشترى له ذلولا ورحلا وكل ما يمكنه من السفر ، ونزلا بريده وقال العبد لسيده : ان هناك مكاتيب عند العم فلان ستمر عليه لأخذها .

ولما ذهبا وجدا جمعاً من النـــــاس ثم قال العبد : ان عم فلان يقول المكاتيب بعد العشاء فانتظر سيده على مضض . وجاء من يعقد القران وكانت مفاجئة لابن جار الله .

وبعد الليلة الاولى أخبرت البنت أباها بأن ابن جار الله غارق في الدين وأخبرته كذلك بخطة العبد التي كان هدفها أن يبقي على سيده ابن جار الله بجانب أسرته لا يتركها للايام ، وفهم التاجر الامر وقدر وفاء العبد لسيده وسدد التاجر كل ديون ابن جار الله الذي أعتق عبده جزاء تصرفه الوفي واعطاه نخلاً لا يزال يحمل اسمه .

= = =

[عبـــد روضان . . .]

روضان من رجالات نجد البارزين . كان عنده عبد يعمل بكل اخلاص في فلاحة واسعة له . وكان لروضان أصدقاء كثيرون اتاه ذات مرة شيخ عنزه بن هذال زائراً ، فلم يجده ووجد العبد الذي قام بالواجب خير قيام وسد مسد سيده وهو غائب .

سأل الضيف العبد : أين روضان ؟ قال بالمدينة يعني بريدة فأراد ابن هذال أن يخدع روضان لأنه احب العبد واعجب به ، فقابل روضان بريده وقال له : مطلبتك . . قال روضان : اعطيتك ماطلبت الا العبد ، فضحك وقال هو مطلبي، قال : اعذرني ايها الامير، فعذره وأمره ان يحتفظ بالعبد ويكرمه .

= = =

« طرفة مع عبـــد لمس أنفه »

جماعة كانوا مسافرين ومعهم عبدهم ، فهاجمهم قطاع الطرق واخذوهم تاركين العبد احتقاراً له بدعوى انه لم يساعد ولم يدافع عن اسياده .

فلما اراد الله استرجاع ما اخذ من اسياده ، لمس احد اللصوص انفه وهذه اكبر نقيصة عند العبد فهاج وثار ، وقال : أيها الخونة سلبتم اعمامي ، وتلمسوا انفي وصار يضرب فيهم يميناً ويساراً حتى استرجع ما اخذوه ثم حبذ لهم واخذ كل ما معهم واطلق سراح اعمامه ...ولكل شيء سببه .

الفصل الثاني :

انتقم من سيده شر انتقام

يقال ان تلك القصة زينها ايام عمر بن الخطاب رضي الله عنه . . رجل انعم الله عليه بالمال ، لكن حرمه البنين ، فسار يسأل ربه ان يرزقه من يخلفه ليحفظ ثروته ويذكره ، فاستجاب له رب العـــزة ورزقه ولدين احاطهما بحبه وحنانه .

وحدث ان اشترى لهما عبدا لخدمتهما ، لكنه وهو الشيخ الكامن في السن خاف على زوجته وبناته من العبد فخصاه .

حقد العبد على سيده وفكر في الانتقام منه . فلما قرب مجيء سيده من متجره صعد بالولدين الى اعلى السطح وصار يداعبهما ، فلما سار سيده على الباب حاول ان يلقي بالولدين من السطح فصرخ الرجل وصرخت زوجته ثم امر العبد سيده ان يخصي نفسه كما فعل به والا فالولدان رهينة عنده ، ففعل الرجل ، ولما اطمأن الى ان سيده خصي نفسه قال ، وهذان زيادة ، والقى بالولدين في الشارع ليلاقيا مصيرهما ثم اخـــــذ من العبد بالقصاص .

= = =

((محنة عبدين أسودين من بريدة))

مأساة سببها الفقر . فقيران الح عليهما الجوع فاتفقا ان يسافر ويبيع احدهما الاخر فباعه بمائتي جنيه على احد اشراف مكة والتحق هنا بالعمل لدي اسرة من الاشراف فعززوه واكرموه وصار بأيديهما مال كثير فبعد ما امن سيادته لحق بصاحبه لجنيهات تفد مالديهما من مال بعـــد ذلك فقال

احدهما لأخيه هذه المرة يعني فسافرا الى المدينة المنورة حتي لا يعرفهما احد فاشتراه بدوي ليكون راعياً عنده وهو قليل الخبرة بهـــذه الحرفة ، واعطاه اسياده ما يكفيه طعاماً ليومين . ومدة الاغتراب بالاهل سبعة ايام فلما اعترض على ذلك قالوا له : الارض ربيع وعندك النبت والحشيش كل واشكر ربك .

ثم فكروا : كيف تأمنه على نسائنا وبناتنا فـفكروا في خصيه وفعلا قاموا هم بهذه العملية ـ والرجل مستسلم لما قضى الله .

ولما تأخر على اخيه سأل عنه وعرف مكانه ، فلما التقيا سارا يبكيان عما حدث ، ثم عاد الخصي الى الحديث قائلا لاخيه ابحثوا لي عن قبر ادفنوني فيه ، فلم اعد اصلح للحياة ... ربنا لا تؤاخذنا بما فعل السفهاء منا .

★ ★ ★

الفصل الثالث :

[قصة جمالين فقـــيرين]

جمالان من أهل بريدة كانا يعملان في نقل الحطب ، وفي مكان الحطب بدأ أحدهما يحطب والآخر يصنع خبزه فلما عجنها راح يجمع الحطب ليخبزها وإذا بجملان تسحبها فطاردها حتي أدرك بعضها وقد اختلط بالرمال ، فخبزه ، فصاغرها صاحبه ووجد الرمل سائل فأخبره بالجملان ولما علم قال أحدهما يارب لا نريد دراهم ولا غني ، نريد إداماً لخبزتنا فرأوا بعدالزوال شبحاً أسمر ظنناه امرأةفقال احدهما للثاني اذهب لتلك المراة عل معها ماتريد وفرجاً لنـــا فلما ذهب إذ بشاة سمينة عليها من الشحم واللحم الكثير . وذبحا الشاة وأكلا منها حتي شبعا وحملا البقية لأطفالهما ثم بحثا عن السكن فلم يجداها وجعلا يفكران . . لم يكن معنا في الاصل سكين وفجأة وجدناها بيننا والان اختفت ، لقد أخذها من أعطانا أياها . يا سبحان الله . . حيث ما معهما سكين ومع البحث وجدها أحدهما تحت الرمل وبعد النهاية من الشاة فقداها الله أعلم بمن منحهما الشاة وسكينها والله به عليم .

= = =

وللفقـــــر آثاره . . .

يكاد الفقر يكون كفراً . . . الفقر يدفع بصاحبه لان يسرق مضطراً ، يكذب ، ينكر ، يستحل ما حرم الله . في الاثر القدسي يقول البــــاري جل وعلا يوم القيامة : ادنوا مني أحبابي وتقول الملائكة : من أحبابك يارب العزة ؟ فيقول سبحانه فقراء المؤمنين .

هؤلاء رغبوا في الاخرة كما رغبوا عن الدنيا فلهم هذا الفضل من الله

يوم القيامة ... « للفقراء المهاجرين الذين أخرجو من ديارهم واموالهم بغير حق الا ان يقولوا ربنا الله » صدق الله العظيم .

وهناك فرق بين فقير يخرجه الفقر عن حدوده غير مؤمن بقضاء الله وفقير صابر راض .

= = =

طرفة أبو علوان ...

أبو علوان يتاجر يبيع حاجيات البدو . وأبو علوان شاعر ظريف وكان يبيع فيا يبيع للبدو العبي وكان يرضى بمكسب قليل . أتاه أعرابي من الموسرين من اهل الشمال وأعجبته عباءة فسألني عن ثمنها قلت اشتر أيها الحبيب فقال بعشرة .

يقول أبو علوان كدت ان أفقد صوابي من الفرحة لان ثمنها على ثلاثة الاثلثا ، فسفمه فضحك وقال لا تزري على ابها الحضري ، بخمسة عشر ارضيت ؟ فقلت سلم الدراهم فسلمني اياها .

في ذلك الوقت كان من الممكن جدأ ان اشتري من هذه الخمسة عشر نخيلا او فلاحة والله يرزق من يشاء بغير حساب .

= = =

طرفة ثانية لأبي علوان ..

لما اشترى ابو علوان النخيل صار فلاحاً يزوره اصدقاؤه كل عام يذبح لهم ، يجلسون عنده يوماً كأنه عيد يروحون فيه عن انفسهم فمجلسه لا يمل.

كان الاتفاق ان عليه الذبيحة وعليهم الباقي ، ثم حدث ان اتفقوا على إخفاء ما معهم ليثيروه ، فدبر حاله حسب امكانياته واصروا على اخفاء

ما معهم من خبز وقهوة وعيش ، وبعد العشاء استأذنوه وركبوا حميرهم وهو بين مصدق ومكذب فارتجل هذه الابيات :

وشينكم هــــذا العــــام يارزاين
ليــــتني ما شفتكم في مكاني
غــــــرتني الوزة ولبس السعادين
اثره جعور ما بهـــــا الا الحصاني
رأس المـــــال ما ابغي لكم شين
اصــــبر لو قعدت عشر ثماني

= = =

فقــــير . . ظريف . .

عقيل شاعر ظريف فقير وله قصة . : . طلب من امير اقليمه قطعة ارض ليزرعها ، فمنحه قطعة ارض كانت شغلة الشاغل فلحها وغرسها .

وكان له اصدقاء يسمرون معه فافتقدوه منذ اخذ الارض لان وقته كله كان يصرفه فيها . حسده اصدقاؤه حين وجدوا زرعه قد نما وازدهر فقالوا للأمير : لقد اعطيت عقيلا ارضاً ، فأشقيته واتعبته ، وان غرسه مايصلح الا للك ، وبلغ عقيل ذلك وخاف بعد تعبه ان يأخذ الامير الزرع ، ويعوضه فكتب للأمير ابياتاً ضمنها رجاءه واسترحامه ويشكو فيهــــا فقره وبؤس حاله :

يا راكبا من فوق عجــــل المصادير
سمح الذراع كان هو بالوطن سار
اسرع الى من يركبوت السحاحير
واسبق من النيــل بداء الاخبـــــار

ملفاك ابو صالح خزام المــــــداير
الى طنب بالرغاكل هــــــــدار

قل ياسور نجــــد من الصافه الى النير
ومن جشه العارض الى خشم سنجار

يا ســــــرة طالت وحنا عصافير
من التجـــاها ما ذيره كل صقـــار

اشكي عليك الفقر كسر القلب تكسير
برك على راس بجمــــل ولا ثار

مستأنس ما شاف مني تنــــاكير
ولا جبت ازود من المد بصرار

وكل يـــــوم له مصــــــائب وتدابير
وبني فوق جــــــدار داري دار

اطلب لعلك تسبيت له بتشــــــوير
لو ساعة عن قــــلة الراس نيــــدار

يقولون غرس عقيل صائر مصادير
انا احمد الله ساق او عجل بالاحضار

عسى اشوفه عقب ذا مواقــــــير
ومهــــــل عوج الرطائب بالاثمار

عجيب امر الشعر ، يلهم صاحبه بأشياء لم يسبق لها ذكر ولقد تأثر الامير بهذا الشعر وترك له الارض وما غرس فيها .

ويقال ان صديقاً لعقيل اقسم ليعملن مع الامير حيلة ينالها منه عطية ذهب الى الامير وقال له : ان لدي بقرة بلغ ثمنها اثنا عشر ريالا واريد ان ابيعها لكم فقال الامير لوكيله ادفع له ثمن البقرة . ثم قال الرجل لكن البقرة عليها شهران حتى تلد - وكانت زوجته حبلى - فقال لك بوليدها حمل بعير من قهوة وعيش وكسوة .

فلما قربت ولادتها جاء بها الى القصر واودعت احد خاناته فلما سأل الامير اين البقرة التي اتي بها فلان .. قالوا انها ليست بقرة ، انها امرأة تقول انها زوجته فلما رآها عرف النكتة واخرجها خوف ان تحدث عنده ولم يعاتبه .

- - -

«(غنيان وبيتـــه)»

شاعر فقير سأله مرة صديق له اين يسكن وكيف قال بالأجر قال له لماذا لا تطلب من الامير قطعة ارض وتعمرها ؟ وتم له ذلك واعانه الجميع على البناء وتم البناء وسكن غنيان البيت الجديد واقام للجميع حفلا بتلك المناسبة وعلى راسهم الامير الذي اقطعه الارض وقال في هذه الابيات :

بيت بنيته بالزيارة على خـــير بالزيارة
والنفس طابت عن بيوت العواري
ساعة بنيته هـــد الرشد والخير
وبيبان ربي ما عليهن بحـــاري
رواف هو والعيـــال المتـــاعير
عمى علومـــه العيش وهم المسارى
عقيل اهـــل المروات رجال مشاهير
هم تسببوا له لابسين الســـداري

« الباب الثاني عشر »

[أكلوا الميتـــة .. من الفقر]

فقير رب عائلة كبيرة ، عاد من السوق فوجد اطفاله يبكون فسأل زوجته ما الخبر ؟ قالت جياع ، ما طبخت لهم العشاء لا عيش ولا تمر .

خرج خارج المدينة فوجد جملا ميتاً ، فعاد للبيت وحمل سكيناً ثم اتي الجمل فحمل منه ما استطاع واخبر زوجته انه اللحم من احد الجزارين فطبخت بعض اللحم وقددت الباقي يأكلون منه على ايام .

وكان بجانب هذا الفقير رجل موسر ، وذات يوم كان مع ابن الفقير كسرة من قديد فسأله ابن جارهم فأعطاه منها ، فتبعه ابوه واخذها من يد ابن الجار وكسر خاطره فشكا على ابيه الذي وجد علي جاره .

ولما اقترب الحاج وكان هذا الفقير على وشك الرحيل جاء كل الجيران ليودعوه ومنهم الجار الذي غضب عليه حين اخذ القديد من ابنه فقال الفقير لجاره اكذلك غضبت علي ، قال نعم . قال اضطرتني على ما اكره ، وما اريد ان يكون بنفسك شيء ، انها كانت لحم ميتة لا تحل لابنك واخبره القصة فقال اهكذا بلغ بك الحال ؟

قام هذا الموسر بتجهيز ناقة يرحلها وكل ما يلزم للسفر للحج واقسم ليقبلها هذا الفقير . ثم باع الفقير الناقة وبثمنها حسن وضعه هو واهل بيته ووجد راس مال يبيع فيه ويشتري ...

من كان يؤمن بالله ورسوله واليوم الاخر فليكرم جاره صـــــدق رسول الله .

يقال انه لما جاء الحجيج حضر الجيران يسألون على الموسر وثبت ان الله وكل من يحج عنه من الملائكة حيث اثبتوا انهم شاهدوه في جميع المشاعر والله على كل شيء قدير .

[قصــة من ذبح لضيفه حيــة . .]

قصد عدد من الضيوف مزارعاً في قصره ، وهو لا يملك ما يعشيهم به سوي العيش ، أجلسهم وقدم لهم الشاهي وبينا خرج هو يفكر ماذا يعمل إذ رأى حية سمينة فانهـــــال عليها حتى قتلها ثم قطع رأسها وفصلها عن جسدها ، وقطعها إربا وسواها وأضافها الى العشاء .

وأثناء الأكل أراد صاحب البيت أن يعتذر لهم لأنه ليس لديه ما يقدم لهم وقد كان موقفه حرجاً لولا أن الله تعالى ساق اليه حية كبيرة ، لحمهـــا أمامكم فوق الأرز ، فلمـــا علموا بذلك خافوا وقالوا : اننا نخاف من ظل فكيف نأكل الحية وتركوا اللحم وأكلوا الارز وفي الجيوش الان يأكل رجال الصاعقة الحيات والثعابين وما شابهها .

= = =

«(فقـــير يرفض الخروج من السجن)»

فقير كان يعمل فلاحاً يقاسي من وطأة العمل عليه ليلا ونهاراً . ثم صادف أن ارتكب ما يوجب سجنه ودخل السجن وهناك كان ينام الليـــل ، وما كانت وجبات الطعام مرتين ومحترمة هكذا عند مخدوميه .

بعد بضعة أيام أتاه مندوب الأمير يخرجه من السجن فيها اياه آلا يعود لمثل ما فعل فقال : دعوني في السجن والا سأرتكب ما يعيدني اليه .

وذهب مندوب الامير يخبره الخبر فاستدعاه وقال أصحيح ما تقول ؟ قال وما سبب ذلك ؟ قال ما أذكر أنني نمت ليلة بكاملها ، أسهر في العمل وأقوم للعمل ولا غذاء يعوض ، فأقنعه الامير ومنحه مايعيشه وأمر فلاحه أن يخفف عنه ويشبعه .

«(الوصيـــة والحمـــار . .)»

توفي رجل تاركا زوجة وأولادها الثلاثة ولم يخلف لهم سوى حمـــار أوصي به للكسلان من أبنائه ، فادعى كل منهم أنه الكسلان واضطروا للذهاب إلى القاضي .

سأل القاضي الكبير : ما كسلك ؟ قال أنام في الظل وتأتي الشمس في عز الصيف فلا أتقلب للظل حتى يأتي من ينقلني . .

ثم سأل الثاني : وأنت ما كسلك : قال أنام قريباً من القربه ويدركني الظمأ فلا اشرب حتى يأتي من يسقيني .

وأخيراً جاء دور الثالث فسأله القاضي نفس السؤال فقال ما كسلك فسكت وكرر القاضي السؤال .. وأخيراً قال للقاضي : كسلان أرد عليك .. فحكم له القاضي بالحمار .. ولله في خلقه شئون ...

= = =

«(وصيتان من فقـــير لأولاده .)»

أوصى رجل ابنه فقال :

إذا كنت في مأدبة كبيرة فلا يكن جلوسك في قرنة المجلس ، يتم السماط ويصعب عليك الدخول له ، وقد لا تجد مكاناً .

وإذا كنت في مائدة على سطح فكن بمايلى الميزاب حيث منحدر الطعام .

ثم قال يا بني لا تضع لأحد طعاماً فان بعض الناس مصاب بأوهام ، يكره ما لمسته يد الغير .

= = =

[احتال بولده . . . الميت]

فقير مات له طفل فسأل زوجته من أين لنـــا بكفنه ؟ فاقترحت عليه بأن يذهب لأحد البقالين ويشتريا منه بعض الأغراض ثم يتركا الولد عنده رهينة حين يتظاهران بأنهما نسيا الدراهم في البيت ، والبقال بدوره حين يقف على أن الولد ميت سيجهزه ويدفنه .

ونفذا كل خطوات الخطة ، ترك الولد والمرأة ثم رجع هو وحده ولما اختفى عن الأنظار قالت الزوجة مسكين زوجي لقد نسي مفتاح البيت معي ، واستأذنت البقال تاركة الولد حتى تلحق بزوجها لتعطيه المفتاح .

جاء وقت إغلاق الدكان ولم يعودا فاستشار البقال جيرانه ، أشاروا عليه بأن يأخذه الى بيته ولكنهم وجدوا الطفل ميتاً ، فقاموا جميعاً بتجهيز الولد ودفنه . . « ان كيدهن عظيم » صدق الله العظيم .

= = =

طرفتــــان

استضاف أحد الرجال صاحب مزرعة ورحب به ، وقدم له ما يقدر عليه فشكره ودعا له .

وكان عندهم هره تعوى فنصحها الضيف بأن تذهب للمطبخ فلذاك أبر بها ولهذا معناه اذ لم يقدم له صاحب الدار طبيخاً ...

ومرة أخرى استضاف صاحب المزرعة ضيفا فقدم له ما استطاع من دباء وملح شأن الضيف الأول، وبينا هم ياكلون قال الضيف لمضيفه ما اسم هذا عندكم ؟ قال اسمه الشريد الذي أوصى به رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : سبحان الله نحن جيرانكم وتختلف الأسماء هكذا ؟ اننا نسميه الماء الحار والدباء . . .

الباب الثالث عشر

فيـــــه فصلان

الفصل الاول :

خاص بالغـــــزل البريء الشريف

بصري الوضيحي امير هذا الفن في وقته

كان من هواة الجنس اللطيف ، شاعراً جيداً وغزلياً ظريفاً محبوباً من الجميع ، يحب المجالسة والمداعبة والمضاحكة .

ولما بلغ التسعين من عمره ، اصطحبه ابنه الى الديار المقدسة للحج توبة وتكفيراً ، وفي أثناء الطواف وعند الحجر الاسود أدخل رأسه ليقبله واذا معه رأس فتاة جميلة عطرة فوجه بصري تقبيله للبنت بدل الحجر التي غضبت وتعسبت .

ثم عاتبه ابنه كيف تم هذا ، فقال له يا ابت انت لم تصبر ، فقال ما عن مثلها مصبر لكني ارجو من الله ان يتوب علي ويسامحني وقال في تلك المناسبة هذا الشعر .

التـــايه اللي جاب بصري يقته
جدد جروح العود والعود قاضي
هني من حط سني يا ملا وقم منه
أيام ما بيني وبينـــه مواضي
لا هي رايحه زفره ولا هي مصنية
ريح النفـــــل بعطمطمات الفياضي

والردف للثوب

نهدين الثـــوب الحمر شو لعنه
حمــــر ثمرهن غطسن بالبياضى

يا من يســـاوني علي وصف كنه
اشقح شقاح ولايح بالبيـــاض

يا جرح قلبه جرح واديا وطنه
غـــير المزون اللى وطنه وقاضي

البيض قبلى محسن عذبنـــه
وغر على وضحى جرى له المتراضى

والبيض قبلي كم من واحد يبسنه
يابسة شماشيل العلق في التقاضى

عزى لمن غر الثنـــايا كونه
أركن على كبده كوى ومقراضي

شوفي بعيني والخـــدم يركبنه
على زعاج يوم قوطر وناضى

فوق أشقح من زمل أبوها مصنه
ركبة عليــــه يتشنطيح باعتراضى

بمشجر من سوق هجر مغتـــه
على خياطة ناب الأرداف راضى

وين أنت يا عشقي عـــلى طردنه
أنا طويت ارشادي وافقدت قاضى

= = =

ولبصري أيضــاً من طرائفــه حول الحب

يقال إنه من بوادي الشام إنه كان عند قطان يشتري فراشاً وكان عند القطان فتيات جميلات يشترين . وفي عودته لعربة ، نزل ضيفاً على امير الحي واسمه البندلى ، وكان هناك شخص حرامي مقبوض عليــــه ، مكبل بالحديد يريدون في الصباح قتله .

كان الشيخ البندلى غير موجود وكانت ابنته تقوم مقامه تماماً ، وبعد العشاء قالت : آنستنا يا بصرى وصار بصري يجر على الربابة ويغني بالبنات اللاتي شاهدهن عند القطان ويقول :

ذراعي

ليتني نداق قطن وأبيعــــــه   متحضرى ما أفوت أنا سوق راوي

وأشوف غزلان يرون الشريعة   اللى عليهن من الملابس غاوي

قال الحرامى للبنت أعطيني الربابة فرد على بصري يقول :

تسمين ضوطه للوضحى لتفيمه   مع مثلهن يتجرين سوق راوا

ربع يتاجر به وربع يبيعــــه   وربع فراش له وربع غطاوا

ليه ما قالها لبنت البندلى الرفيعه   إلى منابيع أبوها حيـل مقاوا

يقولها بنت منتفعين الوشيعة   خطار أبوها بلا شاناً قفـــاوا

فقامت البنت وحلت عنه الرباط وألبسته جبة لأبيها وأجلسته بصدر المجلس وعاتبه بصرى قائلا : ما داعي كثرة الضراط قال : طالبك السماح من قبل ، قال مسموح فشكره الحرامى قائلا . إنك خير على مكانا ولولاك ما حصل لى العفو .

★ ★ ★

حيـــلة فاشــلة لبصري

أحب بصري بنتاً من خيرة بنات حيه أرادها زوجة لكن ابن عمها كان قد حجزها والحجز من ابن العم كان عادة للبدو .

رغب بصري في الاختلاء بها ليبثها حبه ووجده واستعان بعجوز كان تخدمها .

ودبرت العجوز حيلة ،أخفت مصوغات البنت في البيت وبعد رحيلهم بمسافة ذكرتها بمصوغاتها فاضطرت للعودة وأشارت عليه بالتخلف في المنزل فلما جاءت كان بصري هناك في انتظارها . عرفت البنت الحيله فكشفت عن وجهها وقالت أبمثل هذا يتم لك ما تريد ؟

المهم أنه سال لعـــــابه بعد أن أمنته ثم قالت له ارقب الهضبة حتى لايفاجئنا أحد ، فلما ذهب لينفذ رغبتها عاد فاذا هي فوق حصانه والرمح في يدها ثم قالت له إن لم تركب هودجي فوق جملي لأنفذن رمحك هذا من ظهرك وقادته الى اخوتها .

لكنها في الطريق أدركت ماذا ستكون العاقبة ، فقالت اشرط عليك شرط ، قال وما هو ؟ قالت أقول لك بيتا من الشعر تجعله مطلعاً لأربعين بيتاً تقولها ، قال : قولي قالت :

بالله يا فراج يا والي الافراج
ياللي غني والناس غيره محاويج

فقال على البديهة :

تفرج لمن كنه يحق العـــــاج
متحير ضاقت عليـــــه المناهيج

عزيل من حطنه البيض مسباج
ركبن جـــــواده واركبنه هجيج

يا بنت منه بالقايليس التـــاج
الى حـــل بالربع المقفين ترعيج
يا راكبـــا مجاجة بنت مجاج
مجاجة من ساس مجن مجاميج
جتني تخطأ كنهـــا باشة الحاج
متبوش ياخد على الناس تبوبيج

واستمر كذلك حتي اكل الأربعين بيتاً . ثم نزل عن جملهـــا واعطته حصانه وعاد من حيث أتي يخفى حنين وهنا خطر ببالى ما قالته فتاة غريبة لمن أرادها وعجز عنها :

حور حوراء ما همن بريبـــة
كضباء مكة صيـــدهن حرام
يحسن من لين الكلام زوانيـــا
ويصدهن عن الخنا الاســـلام

= = =

((بصري يرتدي ثوب امـــرأة))

كان بصري مغامراً في سبيل النساء ، أراد مرة أن يختلى بامرأة فاستشار محتالاً أكبر منه في مكره . وكان هذا المحتال يعلم أن أخاه تلك المرأة يريد يزور والدتها فقال لبصري سافر معي وارتدى امرأة ونأخذ اسم زوجتى ثم قال لأخي المرأة : اعلم ان اختك تريد زيارة والدتها وان زوجتي معي وولادتها قريبة واريد ان اصحبك وسافر الجميع وبعد مسيرة يوم ذهب بصري لبطن الوادي ، وقال المحتال لأخي المرأة ان زوجتى تعبت فابعث اليها بأختك فلما ذهبت لتساعد الحبلى اذ هى تجد بصرى وخوفها من الفضيحة فعادت مسرعة تقول لزوجها صديق اختها يجب ان تأخذها لمربك فذاك اولى وعاد بصرى ايضاً يخفى حنين .

الفصل الثانى :

فضلتـــه على سيـــده . . .

امير بادية من امراء الشمال ، يعيش سعة من العيش عنده أربعة بيوت بكل منها رعية من الابل والغنم فوق زوجة .

تزوج ابنة عمه وبادلها حبا بحب ، ولكنها خانته واحبت عبداً لهوهذا آخر ما كان يفكر فيه الامير .

في يوم عيد ركب الامير حصانه وذهب الى بيت هذا العبد يريد ناقته يذهب بها الى مكان قريب ، اذا بالعبد فوق هضبة ومعه ربابته ، سادر في غيه ، ويتغزل باحدى الحريم وما ان سمع سيده ذلك حتي طعنه من الخلف فمات ولم يعرف الامير فيمن كان يتغزل بالضبط .

وعاد الامير بناقته ، ثم جمع حريمه وقال : ان الابل ما عندها احد وان العبد يجوز انه هرب او لدغ ، لقد سمعته يغني قوله على الربابة .

عصر الخميس اسقى ربيع الفؤاد	من مبسم ارعيه ما هوب بزعال
كل نهار العيد يجمع وبادي	على مودة خاطره من هو البال
وهو نهار العيد بأرض بعاد	مكتوف ومربط تقل سجبال
ساق سقى الله ربع دار البوادى	من مدلهم ثالى الليـــل مطال
حيث مر بي العوزين المقادى	ابو جباجيـــل وشنفين وهادل
مع قلله سميرا الهـــاما بقادى	الاقحوان ان جلت عنها الاطفال

وبذلك يكون قد اشار اشارات الى انها اصغرهن (نساء الامير) وابنة عمه ، واعز حريمه ، لكنه شك في ذلك ومرض وكان ممن زاره في مرضه عجوز قالت له : انت هاو اى عاشق فقال لها : ان العبد هوي احدي نسائي وقد قتلته دون ان اعرف منه من هي .. قالت الامر بسيط :

اعط كلا من حريمك صاع من قمح تطحنه والمرأة إذا ركبت الرحي بفيض ما بخاطرها تفعل وصار قريباً منهن يسمع حديثهن وكان غناء أصغرهن :

وشين بصندوق الحشا له زفيري
لو على جمر الغضا طاش وأطفاه
العبــــد ويش مريضه بالمسيرى
المقوه إنه لله واحـــد مع مقفاه
والله فلا تنسى صـــاحبه لو نسيها
إلا كان الحضر تنسى القصور المبناه
أو الســــدر يثمر بتيني و . . .
والعبد الاسمر يختلف عن محيــــاه
يفوح من جيبـــه سواة الذريري
عنـــده وكل له مع العرب مشتهاه
عليــــه شققنا ثيــــاب الحرير
كنه صريم بروس الأقـــدام تاطاه
له قـــــذه تشبه جناح القويري
تشهد أنهــــا عــــلة القلب ودواه

فلما سمع الأمير ذلك عرف أنها هي . . وردها الى أهلها وأسف على عقول بعض الناس .

= = =

((حب بريء كان عاقبتـــه الموت))

قصة حب شريف بين فتى وفتاة جمعت بينهما مراعي غنمهما ينطبق عليهما قول قيس في ليلى :

تعشقت ليلى وهي غر صغيرة ولم يبدو للترب من ثديها حجم
صغيران نرعى البهم ياليتنــــا الى الآن لم نكبر ولم يكبر البهم

لـكن البنت كانت تدخل في نطاق النظام البدوي الباني ابن العم بنت العم .

تزوج ابن العم البنت وصار الولد لا يقر له قرار ولا يهـــــدأ له بال لـكنهما كانا يجتمعان سويا ببطن الوادي ليلا وقت أن يكون زوجها يسمر مع باقي العرب ، حتى رآهما عزول أخبر زوجها ، هجم الزوج على العاشق وتشابكا فيقر العاشق بطن الزوج بخنجر كان يخفيه وهرب أبو البنت مع ابنته وألقى القبض على الشاب وذهب الجميع للشرع الذى حكم بقتل الولد والبنت ، فاحتجت البنت قائلة : وما ذنبها ؟ قال القاضى أنت السبب ، فقالت السبب هو الشيطان وقد تبين أنها لاتزال بكرا عذراء لم تمكن زوجها منها لأنها كانت لا تحبه وكانت مرغمة على زواجها منه فعفى عنها ، لـكنها مرضت حزنا على عشيقها وماتت بعد أشهر .

= = =

«(حب ينتهي إلى كراهية)»

بنت عشقت من خاب ظنها فيـــــه . جاور أهلها عرب مدة الربيع فربط بينها وبين أحـــد أبناء هؤلاء العرب وانتهى الربيع وبدأ العرب يرحلون وفي طريقهم الى موطنهم مروا بالبنت وهى ترعى الابل واستوقفتهم تسألهم عن وجهتهم وحبيبها أمامها كأنها لا تحس الا به . سلموا عليهـــا وتابعوا سيرهم فصعدت من فوق هضبة عليهم ينزلون ضيوفا على أهلها لـكنهم واصلوا المسير رغم أن الوقت كان اول الليل فانشدت تقول :

تخيـــل وهى سارحة يا برق الحلف
مزن تحـــدر من عينه شاوعه
عيا قعوده يمانق هـــل الشلف
عمى المعند يقسم لهـــا حد كوعه
الصاحب اللي خرق القلب بالوقف
قفي يا قـــلة علينـــا رجوعه

قلبـــــه كا عيدانه والهوى صلف

لعب نسناس خطر علينا وقوعه

امر عجيب ، بدوية لا تقرأ ولا تـكتب تقول الشعر وهي جالسة ، تتسلى بنفثات عواطفها :

وصل الشاب الى اهله وشكا ما به من تباريح لصديق له فركبا ناقتين وتزيا هو بزي امرأة فلما قربا من بيوت عرب مريفة حيث البنت امره صاحبه أن يرتدي الزي النسائي وأجلسه بعيداً عن مضارب البيوت بحيث يرى من فيها ؛ ثم أتي وحده جمعاً من البنات سألهن : هل فيكن فتاة اسمها عفيفه او عنيفة او اسمها يقارب ما ذكرت ؟

قلن : فينا بنت اسمها مريفة ، قال ان لها معي وصية من والدتها التي لم ترها منذ طويل لأنها تعيش مع اخوتها من ابيها وانا مع زوجتي وسنعود فان كان لها وصية تبلغها لوالدتها .

قالوا ما دام معك زوجتك فستستأذن اخوتها لتذهب معك لزوجتك واذن لها اخوتها ولما وقفت على الحقيقة غضبت وثارت فاعتذر لها بأنه انما يبغي خطبتها ونحن شرفاء ووعدته ان يكون ما يريد صيفاً عنــــدما تجري المياه .

وفي الصيف كثرخطابها ولـكن النصيبوالحب فرضاانيكونا لبعضهما .

لـكنه للاسف تبين انه شحيح بخيل لم يقم بمطالبها ، ولما استفحل غباؤه طلبت الطلاق وقالت قصيدة ترجوه ان يطلقها .

يا علي هـــــذه عشرة ما تريده

لو هي بيلهاب جزع ما يفدي

كل نهـــار العيــــد يلبس جديده

وهي نهـــار العيد ككوحه ملدى

غديت مثل الفـــيدة الجيــــدة

اللي صـــــار سمعة نخيل تجدي

كم لحيـــــة جاها خراها من ايده

لعـــاد ماله من دليـــــله مقدي

لقد ابي ان يأتي لها بثوب جديد في يوم عيد ، وبعد ان تحسم الخلاف وكثر الشقاف قالت :

يا على ما تطلقهـــــا وتجزاك

وتعدك فاعل بهـــــا طيبي

العـــام يوم الهوى يبغاك

مختـــــارك على كل خطيبي

واخيراً خيرته بين القتل والطلاق فطلقها وهكذا يفعل الشح . . . « ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون » صدق الله العظيم .

= = =

قصة شيخين . . .

شيخان جمعتهما الأقدار ، احد من شمال جزيرة العرب وآخر من جنوبها ، تعرفا على بعضهما في الطريق الى العراق للتجارة وعندما افترقا قال الشمالي للجنوبي : انا فلان من شمر ان ضامك الزمان يوماً فأنا تحت امرك .

ومرت السنون واحتاج الجنوبي اذ الارض هنا اجدبت فجهز نفسه وذهب لصديقه في شمر وسأل عن بيته فدلوه عليه ثم سأل ايضاً فعرف ان معه زوجة وبنته البالغ وطفلة . وكان مع الجنوبي ابنه في نفس سن البنت .

وفي الطريق كان الجنوبي قد قال لابنه وزوجته ان صديقي ساكن الشمال مستوحش وعنده بنت في سن ابننا اخشي ان نشوش عليه وكان الحل ان يلبس الولد من لباس امه وبرقعها .

رحب صديق الشمال بصديقه الجنوبي ولكن في مناسبة ساقتها الأقدار تبينت فروسة الولد المتخفى في زي امرأة فغضب الشمالي وطرد الجنوبي لكن هناك حب نشأ وترعرع بين الولد والبنت وكانت هذه هى المشكلة والولد مصر على أن يعود إلى البنت فجهزه أبوه بناقة وبندقية من دخله في تلك المدة التي قضاها في الشمال وعاد الولد وهو فارس كفء إلى عرب البنت ونزل ضيفاً على رجل شيخ طيب القلب يسمى جديع بن قبلان فأكرمه وأحسن اليه .

لكن جديع أحس أن الولد تتدهور صحته فسأله : أنت بضيافة ابن قبلان ولن يمسك سوء صرح لى بحالك قال اعطوني الربابة فقال :

يا راكب اللي تودع البعد قربي
عليـــه تطوي بعيـــد السرابي
جر الفضـــا بعيونها لستوبي
تاصل حلب وأدني منازل أحبابي
مرت على ابن فهيـــد وقت المغربي
تبغى رواح الشام قبـــل الغيابي
عضيت رأس شفتى بقوة وكربى
ليس عقـــرت شفتي رأس نابي
يا جديع بن قبلان ضاق الدهر بي
ضاقت ليـــاليها مع أيامهـــا بي
طـــير القرادة ياخو حسنا شهربي
لم الثريا والكواكب رقـــابي
هام الجنـــوب وهام شرقي وغربى
والمقـــوة إنه لشمال انتوابى
مع مثل خيط العنكبوت اغدر بى
يا جديع في نقرة حظوظي رما بى

شوك وعاقول وســــــدر بدربى
تفطلست دنياي والنـــــور غابي

جاني الطبيب وزارني وافتكر بى
ولا ظنتي غــــير الشهادة لقابي

اباح ابن قبلان عن عشقه لبنت الشيخ فقال له . أما قال أبوه : الثريا أقرب ؟ فقال الولد لابن قبلان انك ستجدني ميتاً وجل ما أرجوه أن تجمل قبري على طريق مسارحها ومراوحها . .

وحاول ابن قبلان أن يزوجه غيرها فابى وقال : إما وساطتك عند أبيها وإلا . . . لا .

حاول ابن قبلان عند أبيها دون جدوي ، ومات الولد من الولة على البنت ونفذ ابن قبلان الوصية وبنى قبره في طريقها في غدوها ورواحها وكانت تقف على قبره وتلصق وجهها بحجره ؟ وتسح دموعها حزنا عليه حتى هددها أبوها فقالت لأسكن الى جواره .

فتمك الحزن من الفتاة وأخذت تذبل وتذبل حتى ماتت .

خاتمـــــــــــة

وبعد . . . عزيزي القارىء . . .

كان هذا حصاد السنين ، جلست فيها : لى ذلك المسن وسافرت فيها إلى ذلك الشيخ لأخذ عن هذا قصص الماضين واستخلص من ذلك تجاربه أصوغها في صورة قصة لأقدم كل ذلك اليك لقد كان جهدي الا تقرأ شيئا عرفته الكتب ليكون ما أقدمه لك جديد ، لتستمتع بلذة الجديد .

وعسى أن أكون قد نجحت الى حد ما في ارضائك . . .

والحمد لله الذى أعان . . .

والى كتاب آخر ان شاء الله لك تحياتي ، ، ،

ابراهيم الطامي

الفهـــــــرس

الباب الاول

الفصل الاول

الفصل الثانى

الباب الثـانى

العقوق فيه فصلان

الفصل الاول

الباب الثـالث

الكرم والكرماء

الباب الرابع

الوفـــــــــاء

قصة فيها وفاء وصدق نية قصة السكر وطير الرخيم ، قصة شاب فدا بنفسه وفاء وشيمة وهو لا يعرفه ، شيخاً محكوم عليه بالقتل فكان الشاب سبباً لسلامة الجميع ، قصة ابن التاجر مع أمير البدو وقصتهما أصدقة خير من ميعاد ، قصة الامير المتدروش قتل ابنه وفاء للعهد ، قصة القبابل والفيضة وجيملان بن سويط له عدد من الوفاء والشجاعة .

الباب الخامس

قصة لحجرف أحد أمراء حرب ، قصة المهادي وجاره ، قصة العنقري قصـــة حجول وزوجته ، قصة من فضلت اليتيم الراعي على الامير ، من تنازل عن ابنة عمه لعشيقها ، قصة كيف تفعل الغيرة والحسد ، من حملوا كسيرهم على أكتافهم عشرة أيام ، ابن رخيص ووفاءه مع خويه ، من قتل ابنه وفاء للجوار .

الباب السادس

الفصل الاول

شن وطبقة ، ذكاء مالك ولد بركات الشريف .

الفصل الثاني

فراسة ودهاء ، فني له عدد من القصص حول فراسته ودهاه .

الفصل الثالث

فراسة أمير من أمراء مكة ، فراسة أمير من امرائنا فراستين ، فراسة محمد بن رشيد ، عدد من القصص التي تدل على فراسة ومهارة المقتشين على الحدود ، فراسة بدوى من الرعات مع الامير .

الباب السابع

الحيـــلة والحيل

الحيلة قسمان : رجل امتحن زوجته ، الجنون فنون ، حيلة طريفة ، حيلة

الباب الثامن

الفروسية النادرة

الفصل الاول

الفصل الثاني

الفصل الثالث

الباب التاسع

الفصل الاول

الفصل الثاني

الفصل الثالث

الباب العاشر

من اقدار الله

الفصل الاول

الباب الحادي عشر

وفاء العبيد وغدرهم

الفصل الثاني

الباب الثاني عشر

الباب الثالث عشر

خاص بالغزل البريء

الفصل الاول

الفصل الثاني